

**T.C.
SAKARYA ÜNİVERSİTESİ
ORTADOĞU ENSTİTÜSÜ**

**YETMİŞLİ YILLARDAN BERİ ENNAHDA
HAREKETİ'NİN SİYASİ GELİŞİMİ**

YÜKSEK LİSANS TEZİ

ZEINAB KHENISSI

**Enstitü Anabilim Dalı : Ortadoğu Çalışmaları
Enstitü Bilim Dalı : Ortadoğu Çalışmaları**

Tez Danışmanı: Dr Khiry Mohamed OMAR

MART - 2018

الجمهورية التركية
T.C.
جامعة سكاريا
SAKARYA ÜNİVERSİTESİ
معهد الشرق الأوسط
ORTADOĞU ENSTİTÜSÜ

التطور السياسي لحركة النهضة التونسية
منذ بدايات السبعينات

YETMİŞLİ YILLARDAN BERİ ENNAHDA
HAREKETİ'NİN SİYASİ GELİŞİMİ

رسالة ماجستير
YÜKSEK LİSANS TEZİ
زينب خليل الخنيسي
ZEINAB KHENISSI

التخصص: دراسات الشرق الأوسط

Enstitü Anabilim Dalı : Ortadoğu Çalışmaları

إشراف: د. خيرى محمد عمر

Tez Danışmanı: Dr Khiry Mohamed OMAR

مارس -2018
MART - 2018

T.C.
SAKARYA ÜNİVERSİTESİ
ORTADOĞU ENSTİTÜSÜ

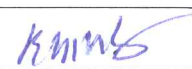
**YETMİŞLİ YILLARDAN BERİ ENNAHDA
HAREKETİ'NİN SİYASİ GELİŞİMİ**

YÜKSEK LİSANS TEZİ

ZEİNAB KHENİSSİ

Enstitü Anabilim Dalı : Ortadoğu Çalışmaları
Enstitü Bilim Dalı : Ortadoğu Çalışmaları

Bu tez 02/03/2018 tarihinde aşağıdaki jüri tarafından Oybirliği ile kabul edilmiştir.

JÜRİ ÜYESİ	KANAATİ	İMZA
Prof . Dr. Zekeriya KURŞUN	KABUL	
Dr. Khiry Mohamed OMAR	KABUL	
Dr. Gamal NASSAR	KABUL	

الجمهورية التركية
جامعة صقاريا
معهد دراسات الشرق الأوسط

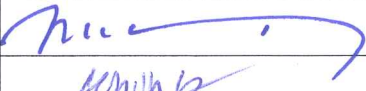
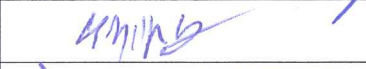
التطور السياسي لحركة النهضة التونسية
منذ بدايات السبعينات

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد
زينب خليل الخنيسي

الكلية: معهد دراسات الشرق الأوسط
التخصص: دراسات شرق أوسطية

تم قبول هذه الرسالة من قبل لجنة المناقشة بالإجماع بتاريخ: 02 / 03 / 2018م

الإمضاء	التقييم	أعضاء اللجنة
	قبول	Prof . Dr. Zekeriya KURŞUN
	قبول	Dr. Khiry Mohamed OMAR
	قبول	Dr. Gamal NASSAR

BEYAN

Bu tezin yazılmasında bilimsel ahlak kurallarına uyulduğunu, başkalarının eserlerinden yararlanılması durumunda bilimsel normlara uygun olarak atıfta bulunulduğunu, kullanılan verilerde herhangi bir tahrifat yapılmadığını, tezin herhangi bir kısmının bu üniversite veya başka bir üniversitedeki başka bir tez çalışması olarak sunulmadığını beyan ederim.

Zeinab khenissi

02. 03. 2018



قائمة المحتويات

i	Beyan
vi	الملخص:
1	المقدمة:
	الفصل الأول
4	تطور الهيكل التنظيمي لحركة النهضة
4	المبحث الأول: الخلفية التاريخية لنشأة الحركة الإسلامية
4	المطلب الأول: الظروف المحلية لنشأة الحركة الإسلامية
12	المطلب الثاني: الحثيات الإقليمية للنشأة
16	المبحث الثاني: النواة التأسيسية
16	المطلب الأول: الجماعة الإسلامية
22	المطلب الثاني: آليات النشاط:
24	المطلب الثالث: خصائص المرحلة.
26	المطلب الرابع: الإسلاميون التقدميون:
29	المبحث الثالث: تطور الهيكل التنظيمي
29	المطلب الأول: الهيكل التنظيمي قبل الانكشاف الأمني:
33	المطلب الثاني: الهيكل التنظيمي بعد الانكشاف الأمني:
	الفصل الثاني
37	تطور البنية الفكرية للحركة
37	المبحث الأول: عوامل التطور:
37	المطلب الأول: عوامل التطور الداخلية:
42	المطلب الثاني: عوامل التطور النابعة من المحيط:
45	المطلب الثالث: العوامل النابعة من الإقليم
49	المبحث الثاني: القضايا الاجتماعية:

49.....	المطلب الأول: الحقوق الاجتماعية – الاقتصادية:
53.....	المطلب الثاني: المكونات الاجتماعية:
55.....	المبحث الثالث: القضايا السياسية
55.....	المطلب الأول: النهضة و المفاهيم الإشكالية:
60.....	المطلب الثاني: إعلان الفصل بين السياسي و الدعوي
.....	الفصل الثالث
69	تطور سياسات حركة النهضة
69.....	المبحث الأول: النهضة و الثورة
70.....	المطلب الأول: تعريف الثورة
73.....	المطلب الثاني: النهضة و المسار الثوري
77.....	المطلب الثالث: الثورة المضادة
79.....	المبحث الثاني: الأداء السياسي لحزب حركة النهضة التونسية
79.....	المطلب الأول: الانتخابات و التحالفات
85.....	المطلب الثاني: وضع الدستور:
87.....	المطلب الثالث: الحوار الوطني
90.....	لمبحث الثالث: تقييم تجربة حركة النهضة:
90.....	المطلب الأول: المسألة الهيكلية
91.....	المطلب الثاني: المسألة الفكرية
94.....	المطلب الثالث: المسألة السياسية:
99	الخاتمة
101.....	الملاحق
108.....	قائمة المراجع
114.....	السيرة الذاتية

عنوان الرسالة: التطور السياسي لحركة النهضة التونسية منذ بدايات السبعينات**إعداد: زينب خليل خنيسي****إشراف: د. خيرى محمد عمر****تاريخ القبول: ٢-٣-٢٠١٨****عدد الصفحات: ٦ (المقدمة) + ١١٤****التخصص: دراسات شرق أوسطية**

يتمحور موضوع الدراسة حول نشأة حركة النهضة التونسية منذ بدايات السبعينات من القرن العشرين حيث ظهرت في سياق حضاري تأكدت فيه أسباب قيامها فسمت الفراغ الايدولوجي التي كانت ميزة مرحلة الستينات والتي سيطر فيها اتجاه تغريبي عرف عدة أزمات مهد جليا لظهور الجماعة الإسلامية كطرح بديل غلبت عليه العفوية والتردد بين التجارب الإسلامية، إلا أن الجماعة استطاعت تركيز نواة صلبة داخل المجتمع عبر استحداث آليات نشاط وتحرك فضلا عن تطوير مستمر لهياكلها التنظيمية وهو ما جعلها تمر بأطوار مختلفة لعل أبرزها: مرحلة الجماعة ثم الاتجاه الإسلامي ثم حركة النهضة وصولا إلى حزب حركة النهضة الذي أعلن الفصل بين السياسي والدعوي مؤخرا.

إن الانفتاح الذي أبدته حركة النهضة على بقية التجارب والروافد الفكرية إضافة إلى الأحداث التي عايشتها جعلها تخوض مسارا تطوريا شديدا العمق، مما أكسبها بنية تنظيمية وفكرية منفتحة، قدمت على اثرها صيغه فريدة للمشروع الإسلامي استطاعت من خلالها التصالح مع مباحث إشكالية لدى الجماعات من قبيل الموقف من المواطنة والعلمانية فضلا عن الديمقراطية، كذلك الحال بالنسبة لتمثل المسائل الاجتماعية على غرار العدالة الاجتماعية والحق في العمل.

كما قدم حزب حركة النهضة أداء سياسيا امتاز بالمرونة في معالجة الأزمات السياسية كتجاوز نقاط إشكالية في مرحلة صياغة الدستور والتحالف مع العلمانيين انتهاء بتسليم السلطة إلى حكومة كفاءات وطنية، وعلى الرغم من قدرتها على معاينة مشاكلها كحركة وطنية كان هذا الأداء محل نقد في مواطن كثيرة، ومن أبرز عناوينه ضعف الأداء السياسي وغياب التجربة وعدم التحرر من المشاكل التنظيمية التقليدية.

الكلمات المفتاحية: حركة النهضة، الأداء السياسي.

Tezin Başlığı: Yetmişli Yıllardan Beri Ennahda Hareketi'nin Siyasi Gelişimi	
Tezin Yazarı: Zeinab KHENISSI	Danışman: Yrd. Doç. Dr. Khiry Mohamed OMAR
Kabul Tarihi: 02 Mart 2018	Sayfa Sayısı: 6 (ön kısım) + 114 (tez)
Anabilim dalı: Ortadoğu Çalışmaları	Bilim dalı: Ortadoğu Çalışmaları
Sivil bir hareket olarak yapılan Ennahda hareketi'nin Tunus'ta ortaya çıktığı koşullara bakıldığı zaman öncelikle 60lı yıllardan itibaren Tunus'ta devletin benimsediği Batılılaşma ideolojisinin bir takım krizler yaşadığı belirtmek gerekir . Bu bakımdan Tunus'ta batılılaşma ideolojisinin krizler yaşadığı bir bağlamda Ennahda alternatif bir ideoloji olarak ortaya çıkmıştır. Ennahdahareketinin kurumsal yapılanması dört aşamadan geçmiştir: İslami grup, İslami Eğilim hareketi, Ennahda Hareketi ve son olarak Ennahda hareketi partisi. Ennahda hareketin diğer islami gruplardan ayıran en önemli özelliği fikir zemininin ve beslendiği kaynakların çok geniş olması ve bu sebeple güncel konulara karşı daha geniş bir vizyona sahip olmasıdır .hareketi besleyen en önemli kaynaklar Cezayir'den Malik bin Nabi, Sudan'dan Hasan Turabi ve Mısır'dan Müslüman Kardeşler'dir Ennahda'nın fikir kaynaklarının bu şekilde zengin olması. Ennhda'nın Nida Tunus gibi laik bir partiyle işbirliği yapması, demokrasi konusunda ılımlı fikirlere sahip olması ya a kadın hakları gibi konularda ılımlı görüşlere sahip olmasına yol açmıştır. Ennahda hareketi'nin fikir açıklığı hareketin siyasal uygulamalarında da kendini göstermiştir. Örneğin 2013'te yönetimi teknokratik hükümete devretmesi ya da 2015'te Nida Tunus ile ittifak yapması Ennahda'nın siyasi uzlaşının yakalanması adına verdiği tavizlere örnektir. Her ne kadar Ennahda'nın uygulamaları zayıflık ya da tecrübesizlik olarak görülüp eleştirilse de Ennahda'nın izlediği temel strateji ulusal uzlaş ve demokrasi kültürünün Tunus'ta yerleştirilmesidir.	
Anahtar Kelimeler: Ennahda hareketi , Siyasi pratisi.	

Title of Thesis: The Political Evolution of The Ennahda Movement Since The Early	
Written by: Zeinab KHENISSI	Supervisor: Yrd. Doç. Dr. Khiry Mohamed
Acceptance Date: ٠٧ March 2018	Number of pages: 6 (pre) + 114 (main)
Department: Middle East Institute	Subdepartment: Middle East studies
The objective of thesis is to study the political evolution of Ennahda Movement in Tunisia. In the early seventies, the historical context has significantly contributed to the rise of the movement in the political scene. This study found that there are two main factors explaining this rise. First, is the perpetual trauma of the Westernization tendency, and second is the ideological vacuum due to the 'policy of repression' in Tunisia. Consequently, Ennahda emerged in this context as an alternative to respond to the local societal challenges. Nevertheless, the Movement, in its early phases, existed with no explicit ideology. Ennahda Movement underwent a radical transition from an Islamic group to apolitical party, and from solely preaching to actively participating in the political scene. This particular 'identity' remodeling of Ennahda Movement led to a reflective development process, and acquired both a dynamic structure and an intellectual flexibility. The party of Ennehdha proved maturity co-existence and openness throughout its political performance. It touched on prevailing issues such as citizenship, secularism, democracy, and adopted policy attitudes towards social justice and the right to work. Its vigorous presence in the Tunisian political scene demonstrated also flexibility in addressing political crises, and overcoming problematic issues when drafting the country's constitution, and entering into an alliance with secularists. In spite of its theoretical and practical evolution, Ennahda's political performance is still being criticized.	
Keywords: Ennahda mouvement , Policy performance	

المقدمة:

تسعى الدراسة إلى تناول العوامل المحلية والإقليمية لنشأة حركة النهضة في تونس وتتبع مظاهر تطور التنظيم الهيكلي والفكري للحركة، وانعكاسه على الممارسة السياسية، فضلا عن تأثير التوضع الجديد على المسار العام للحركة .

نشأت الحركة الإسلامية في تونس في سياق حضاري أوجد عوامل ظهورها إذ برزت كضرورة حتمية تضافرت في تشكيلها معطيات محلية ودولية، كما أملى هذا السياق عليها مسارات تفاعلية نقلتها من شكل الجماعة الدعوية التي ينحصر نشاطها على الجانب التربوي البيداغوجي إلى حركة سياسية تنتهج النشاط كحزب مدني.

فعلى المستوى الداخلي، تبنت الدولة البورقيبية تجربة تحديث شاملة لم تقف عند مؤسسات الدولة الناشئة، بل تمثلت في محاولات لتحويل الأنماط الاجتماعية القائمة عبر انتهاج سياسية التغريب وهو ما تسبب في خلق أزمة بنيوية وثقافية داخل المنظومة المجتمعية والفكرية، كما شهد المشروع البورقيبى بدوره عدة صدمات جعلته عرضة للمراجعة والبحث عن مشروع بديل. أما على المستوى الإقليمي، فقد عرفت المنطقة سلسلة أحداث مهدت لظهور حركات الإسلام السياسي في عدة دول بما فيها تونس.

وعلى الرغم من كون حركة النهضة قد نشأت بالأساس لرد الاعتبار للثقافة العربية الإسلامية إلا أنها خاضت مساراً تطورياً لم يقتصر على مراجعة الأدبيات بل كذلك طال هيكلتها التنظيمية بحسب ما تمليه عليها الوقائع والمتطلبات، وهو ما جعلها حركة متعددة الأطوار والمراحل، كما أكسبها تعدد التجارب وتنوعها بنية منفتحة انعكست على ممارساتها السياسية التي كانت بدورها موضع نقاش.

ثانياً: أهمية الدراسة

تهدف الدراسة إلى تناول مسارات الحركة منذ نشأتها في أواخر الستينات وبداية السبعينات إلى حدود الحظر والصدام مع نظام بن علي، ثم مرحلة معاودة النشاط و تولي السلطة بعد الثورة، مروراً بالتحالف مع حكومة الباجي قايد السبسي.

فعلى الرغم من كون حركة النهضة قد نشأت كحركة وعظية دينية، إلا أنها مرت بتحويلات جعلتها تخوض سلسلة مراجعات أعادت على ضوءها صياغة بنيتها الهيكلية و وتلافي الكثير من المواقف الفكرية، جملة تطورات غيرت تركيبة الحركة من حركة دعوية إلى حزب سياسي يفصل الدعوي عن الممارسة السياسية .

ثالثاً: أسئلة الدراسة

تركزت أسئلة البحث حول مجموعة من النقاط المحورية وهي كالآتي:

- ما هي أسباب نشأة الظاهرة الإسلامية في تونس؟
- وما هي أهم عوامل ومظاهر تطورها الهيكلي والفكري؟
- وكيف انعكس التطور على الأداء السياسي للحركة؟

رابعاً: فرضية الدراسة

- ترتبط التحولات السياسية لحركة النهضة بدور قيادة الحركة في السياسة التونسية.

خامساً: منهج الدراسة

قامت الدراسة على منهج مركّب من المناهج قائم بالأساس على؛ المنهج التاريخي، ومنهج تحليل النظم، فالمنهج التاريخي، تم من خلاله تتبع أسباب وأطوار نشأة الحركة الإسلامية في تونس، أما المنهج تحليل النظم فقد غطى أغلب فقرات البحث وقد تم من خلاله بيان عوامل تطور الحركة، ومواقفها من المسائل الاجتماعية و السياسية، إضافة إلى تحليل أدائها السياسي ثم نقد التجربة برمتها.

سادساً: الدراسات السابقة

١- يوسف الحناشي، الإسلام السياسي في تونس (النشأة والانبعاث)، (تونس: ط١، ٢٠١٢):
سعى الكاتب من خلال هذه الدراسة إلى تتبع بدايات نشأة ما أطلق عليه "الإسلام السياسي" منذ البعثة النبوية وصولاً إلى حركات الإسلام السياسي الحديثة بداية بجماعة الإخوان المسلمين ثم حركة النهضة عبر تغطية أغلب مراحل نشأتها، كما خصص محورا في آخر الدراسة تناول فيه مواقف الغنوشي فيما يخص أبرز المسائل الفكرية والاجتماعية كالمرأة و الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، على الرغم من أهمية الدراسة إلا أن صاحبها لم يعرض مواقف الحركة على المقارنة ببقية المدرس الفكرية الإسلامية، كما أن مصطلح الإسلام السياسي مصطلح حادث لا ينسحب على المرحلة النبوية.

٢ - عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون من المعارضة إلى الحكم النشأة -التطور- الأفاق، (صفاقس: طباعة نوافبرنت -٢٠١٤): هي دراسة معمقة في فهم الحركة الإسلامية تضمنت سبعة فصول توزعت محاورها بين المسائل التاريخية التنظيمية قبل حظر الحركة وبعدها، فضلا عن المشاركة السياسية لحركة النهضة في السلطة وعلاقتها ببقية المكونات السياسية، تكمن قيمة الكتاب في حجم المقابلات الذي تضمنته والتقارير الاستقصائية التي قام بها المؤلف، كما لم تخلو من المواقف المتحاملة لصاحبها في بعض المسائل تجاه الحركة الإسلامية.

٣ - لطفي العمودوني تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، أطوار من النشأة والمحاكمات السياسية الكبرى - ١٩٦٥ - ١٩٨١ (تونس -٢٠١٥): بحكم أن مؤلف هذا الكتاب من الجيل المؤسس

لحركة الاتجاه الإسلامي، تميز المؤلفُ بالإلمام بالوقائع التاريخية بوصفه شاهد عيان ومشارك فيها، خاصة ما تعلق منها بتركيبة الهيكل التنظيمي في مرحلة السرية ومسألة النشاط داخل الجامعات، وعلى الرغم من أهمية الكتاب إلا أنه اقتصر على مدة زمنية معينة تحديدا سنة (١٩٨١)، أي السنة التي أعلنت فيها الحركة عن نفسها كحزب سياسي، وهي مرحلة مفصلية لم تشملها الدراسة بالبحث والتغطية .

٣- توفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية من النشأة إلى الثورة الأحزاب القومية واليسارية والإسلامية" (تونس: دار مسكيلاني للنشر، ط١، ٢٠١٢) : دراسة موسوعية جاء فيها الكاتب على تناول أغلب تيارات المعارضة التونسية من قوميين ويساريين وإسلاميين، سواء على مستوى النشأة أو في علاقتهم مع النظام كما امتاز تناوله لموضوع حركة النهضة بالشمول والدقة فضلا عن كون العدد الصادر بعد الثورة قد تم تضمينه محور خاص بالممارسة السياسية لحركة النهضة، ابتداء من المشاركة في انتخابات أكتوبر ٢٠١١ وصولا إلى وضع الدستور سنة ٢٠١٤.

٤- حميدة نيفر، "من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، الإسلاميون في تونس، تونس: (سلسلة كتاب الإصلاح، ط٣، ٢٠١٥) اشتمل الكتاب على نخبة من أهم الكتاب، كحميدة النيفر والهادي بريك ومحمد القوماني، تم فيه التطرق إلى أبرز الأطوار التي شهدتها الجماعة الإسلامية قبل أن تتحول إلى حركة النهضة. يكتسي الكتاب ميزة في كون جل من أسهم فيه انتمى إلى الحركة وخبرها أو كان في يوم من الأيام في مراكز متقدمة منها وانشق، فهو على دراية بنقائص الحركة الحقيقية، وبذلك قدم نقدا داخليا لها.

٥ - عبد اللطيف الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس : اليسار الاشتراكي، الإسلام، الحركة الإسلامية، (تونس : بيرم للنشر، ط١- ١٩٨٥) : تضمن الكتاب ٥ محاور خص الكاتب ٤ منها لتناول موضوع حركة النهضة، كما يعتبر الكتاب من أقدم ما كتب في الظاهرة الإسلامية في تونس وأهميته لا تكمن فقط في معاصرة صاحبه لفترة نشأة الحركة الإسلامية بل أيضا لعدة اعتبارات فعلى مستوى المضامين يعتبر الهرماسي أول من تطرق إلى مسألة تطور الجماعة وتغير أولويات خطابها ونشاطها السياسي، أما على مستوى الأسلوب فقد توخى صاحبه أسلوبا عميقا لا يتوقف على سرد الظواهر التاريخية في دراسة الظاهرة الإسلامية إذ تطرق إليها من زاوية اجتماعية وفكرية فامتاز بالجمع بين دقة المعلومة وعمق الطرح.

الفصل الأول

تطور الهيكل التنظيمي لحركة النهضة

نشأت حركة النهضة التونسية في منتصف الستينات وبدايات السبعينات من القرن المنصرم كنتيجة لمتغيرات مجتمعية وسياسية داخلية وخارجية عرفت تونس، كما امتازت عبر تاريخها بتعدد المراحل المشكلة لكيوننتها، فعلى الصعيد البنوي عرف الهيكل التنظيمي عدة تطورات، كانت بدايتها بالجماعة الإسلامية حيث غلب غياب التنظيم على نشاطها، مرورا بمرحلة الاتجاه الإسلامي والذي امتاز بدقة التنظيم وسريته، انتهاء بحركة النهضة والتوجه نحو العمل القانوني.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية لنشأة حركة النهضة

لا يمكن فهم طبيعة الحركة الإسلامية في تونس وسياقات تطورها دون العودة إلى الخلفية التاريخية لنشأتها، وهذه الخلفية تتميز بتداخل المعطيات المحلية والدولية منها ما ساعد على التسريع بولادة الحركة، ومنها ما تسبب في مرحلة من المراحل المتقدمة في توقف نشاطها كنتيجة للصدام معها.

المطلب الأول: الظروف المحلية لنشأة الحركة الإسلامية:

تتلخص الظروف المحلية لنشأة الحركة الإسلامية في عدة محاور لعل أهمها الصراع اليوسفي البورقيبي والذي كان عنوان استقطاب ثنائي داخل تونس انتهى بالحسم في هوية البلد عبر منهج تغريبي وسياسات دولة عرفت أزمات متعاقبة، وفي وسط هذا الصراع كان وضع المؤسسة الزيتونية عاجز عن مواكبة أسئلة شباب الحركة الإسلامية.

أولاً: الصراع اليوسفي البورقيبي حينما أرسى الشيخ عبد العزيز الثعالبي^١، أسس الحزب الحر الدستوري التونسي^٢ ابتغى من وراء ذلك جعله قاعدة لخوض حرب التحرر الوطني ضد المحتل الفرنسي، لم يدر بخلده أن هذا الحزب قد يتحول إلى ساحة صراع بين خيارات سياسية متباينة، وتوجهات فكرية متناقضة، فلم ينحصر الانقسام داخله بين أنصار الحزب القديم يتشبث بالهوية العربية الإسلامية^٣، وجديد ذو توجهات غربية استطاع السيطرة على الحزب في مرحلة أخرى، بل شهد هذا الشق الأخير أيضا انقساما بسبب الخلاف حول مسألة التفاوض مع المحتل بين فريقي بورقيبة وصالح بن يوسف.

وقف أنصار الحزب القديم إلى جانب صالح بن يوسف وأصبحوا يرون فيه معبرا عن تطلعات وأفكار الحزب القديم^٤، كما تحالفت الحركة اليوسفية مع المؤسسة الدينية واتخذت من جامع الزيتونة قاعدة لانطلاق نشاطها، وعلى سبيل الذكر افتتح بن يوسف حركته من ساحة الجامع الأعظم في ٧ أكتوبر ١٩٥٥.

تم التعامل مع هذه الخلافات بطريقة أو أخرى، لأن الضرورة الأكدة في تلك المرحلة لم تكن تصفية هذه الخلافات بقدر السعي إلى تحقيق استقلال تونس، وبعد توقيع اتفاقية الاستقلال من طرف الحزب الحر الدستوري الجديد، "تفجرت كل التناقضات الايدولوجية التي كانت الحركة الوطنية

^١ يعتبر عبد العزيز الثعالبي (٥-٩-١٨٧٦ - ١٠-١٩٤٤) أحد رواد الإصلاح في تونس، تأثر بفكر محمد عبدة ورشيد رضا، ومن مؤلفاته تونس الشهيدة، وكان يرى أن مصدر التشريع في البلاد العربية الإسلامية يجب ان يكون الثقافة الإسلامية، وبالرغم من كونه من أعلام جامع الزيتونة إلا أنه كان ضالعا في القضايا السياسية، كما لم يكن مجرد زعيم سياسي بل مصلحا اجتماعيا ودينيا، بالتصرف، أبو زكريا، يحيى، الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي (دار النشر الإلكترونية ناشري، ٢٠٠٣)، ص ١٤.

^٢ تأسس الحزب سنة ١٩٢٠ على يد الشيخ عبد العزيز الثعالبي ولكن بتعرضه إلى النفي، تخلى عن قيادته.

^٣ عرف الحزب خلافات بين شقين من أنصاره وهما أصحاب التوجه الإسلامي وأصحاب التوجهات الغربية، انتهى الخلاف بانشقاق الفريق الأخير وتأسيسه لحزب جديد في مؤتمر قصر هلال بتاريخ ٢-٣-١٣٤، ومنذ تلك الفترة أصبح الحديث عن حزب قديم وحزب جديد، أنظر:

- أسماء قسطلاني وفاطمة الزهراء بو زيان، النضال السياسي والنقابي في تونس (١٩٤٦-١٩٥٦)، رسالة ماستر، جامعة الجبلاني بونعامة، الجزائر، ٢٠١٧، ٢٣-٢٤.

^٤ توفيق المديني، "تاريخ المعارضة التونسية من النشأة إلى الثورة، الأحزاب القومية واليسارية والإسلامية " (تونس: دار مسكيلاني للنشر، ط١، ٢٠١٢)، ص ١٤.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٧٧.

قد طمستها خلال مرحلة تطهيرها وحشد القوى الحية من أجل خوض معركة التحرر الوطني والظفر بالاستقلال^١.

كما استمرت مؤسسة الزيتونة في القيام بدور المعارضة، وفي رفض السياسة البورقيبية باعتبارها سياسة مناهضة للإسلام والعروبة بمساندة لجنة صوت الطالب الزيتوني^٢، فدفعت اللجنة ضريبة هذا المسار المؤيد سواء لبن يوسف وللحزب الحر الدستوري القديم الممثل في الزواتنة^٣، وكلاهما كانا خصما بالنسبة لبورقيبية.

عهد بورقيبية بعد توليه السلطة إلى تصفية خصومة اليوسفيين عبر الزج بهم في السجون والمحاكمات وبإغتيال زعيمهم في المنفى. كما تمت معاقبة مؤسسة الزيتونة والمنتمين إليها " الزواتنة" عبر إغلاق الجامع الأعظم وإفراغه من دوره الحضاري التربوي، إذ تحول إلى مجرد متحف^٤، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تحجيم قيمة ومكانة ودور الزيتونة،^٥ كما تمت مصادره ممتلكاته باللجوء إلى تشريع قانون الأحباس^٦، وبذلك أسهم بورقيبية إسهاما جذريا في تفكيك البنية التحتية الاقتصادية وقبل ذلك العلمية للمؤسسة الدينية الإسلامية^٧.

إن المتتبع لجذور هذا الصراع، ليشهد أصالة أن بداياته كانت سياسية أُلقت بظلالها فيما بعد على الموقف من الدين وفي تبني نهج صدامي بسبب عداو سياسي مسبق.

ثانيا: وضع التعليم الزيتوني

كانت جامعة الزيتونة منارة العلم في شمال إفريقيا، غير أنها عرفت عصور انحطاط جعلت منها تتخلف عن القيام بدورها العلمي كنتيجة لتبني مناهج تقليدية تعتمد بالدرجة الأولى على الحفظ

^١ المرجع السابق، ص ١٤.

^٢ المرجع السابق، ص ٣٥.

^٣ علية العلاني، "الإسلاميون التونسيون من المعارضة إلى الحكم، النشأة - التطور - الآفاق" (صفاقس: طباعة نوفابرنت - ٢٠١٤)، ص ٣٣.

^٤ يحي أبو زكريا، "الحركة الإسلامية في تونس من الثعالي إلى الغنوشي"، (دار النشر الإلكترونية ناشري، ٢٠٠٣)، ص ٩.

^٥ توفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٢٨٠.

^٦ أمر بتاريخ ١٨ جويلية ١٩٥٧. (بوابة التشريع - تونس).

<http://cutt.us/msyAP>

^٧ توفيق المديني، المعارضة الإسلامية، ص ٢٧٧.

والتخريج على المتون والمدونات مما أدى إلى عدم مواكبتها مشاكل عصرها من محدثات ومتغيرات، كما عرفت عبر التاريخ العديد من المساعي لإصلاح التعليم الزيتوني وتحديثه، من ذلك زيارة الشيخ محمد عبدة للجامع الأعظم سنة ١٩٠٥ حيث أقدم على حث مشايخه على ضرورة تحديث التعلي، فتشكلت لجان هامة للإصلاح كان يشرف عليها الشيخ محمد طاهر بن عاشور^١، غير أن حكومة الاحتلال سعت إلى تهميش التجربة ومحاصرتها، كما لم تستجب الحكومات المتعاقبة قبيل الاستقلال لمطالب لجنة صوت الطالب الزيتوني^٢ بإدخال إصلاحات جذرية على التعليم الزيتوني وتمكينه من الدعم المادي، إذ رأت هذه الخطوة عقبة في طريق المفاوضات مع المحتل الفرنسي^٣ الذي كان بدوره يسعى لعزل المؤسسة الزيتونية عن المجتمع، إذ عمل الاحتلال على ترك الجامع الأعظم مغلقاً^٤ على نفسه منفصلاً عن واقعه، حتى تخلص أمامه الساحة لنشر الاستعمار الثقافي دون معارضة .

كما حرص بورقيبة بعد الاستقلال على ضرب المؤسسة بل ودمجها داخل النظام،^٥ وبسبب هذه السياسة عجزت المؤسسة عن الإجابة عن الأسئلة الكبرى للحركة الإسلامية عند نشأتها، كالموقف

^١ محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد ودرس وتوفي فيها. تمت تعيينه (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة"، له عدة مصنفات مطبوعة لعل أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتتوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و(الوقف وأثره في الإسلام) و(أصول الإنشاء والخطابة) و(موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجالات. وهو والد محمد الفاضل: الزركلي، خير الدين بن محمود، "الأعلام"، القاهرة: دار العلم للملايين-٢٠٠٢)، ج٦، ص ١٧٤.

^٢ راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١)، ص ٤١.

^٣ لجنة صوت الطالب الزيتوني هي منظمة طلابية تعنى بالدفاع عن حقوق الطلبة الزيتونيين، منتصف شهر فيفري ١٩٥٠ واحتفظت بتواجدها على الساحة الطلابية إلى منتصف عام ١٩٥٦ حيث اندمجت في صلب الاتحاد العام لطلبة تونس. رفعت هذه المنظمة مطالب لإصلاح التعليم الزيتوني ضمن برنامج تضمن ١٦ مطلباً عرفت بالدستور الزيتوني الجامع (نشرت في موقع وكي واند د-ت):

<http://cutt.us/9VeJv>

^٤ علية العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٢٩

^٥ عبد اللطيف الهرماسي، " الحركة الإسلامية في تونس، اليسار الاشتراكي، الإسلام والحركة الإسلامية"، (تونس: بيرم للنشر - ١٩٨٥)، ص ٢٣.

^٦ المرجع السابق، ص ٥٢.

من الحداثة والعلاقة مع الغرب والمستقبل العربي^١، وهو ما جعل الحركة تلجأ إلى الفكر الإصلاحي المشرقي كبديل تبحث فيه عن أجوبة لأسئلتها، وبذلك لم تكن الحركة الإسلامية في تونس من ثمار جامع الزيتونية^٢.

ثالثا: سياسية التغريب:

كانت الحركة الوطنية التي قادت مسيرة الاستقلال خليطا من أصحاب التكوين العربي الإسلامي المتمثل في خريجي الزيتونة، فضلا عن الشق البورقيبي المتشبع بالثقافة الفرنسية والمتحمس للنموذج الغربي، وكان هذا الأخير يعتقد في ضرورة بناء أمة تونسية ودولة عصرية، الأمر الذي جعل منه نصيرا عنيدا لقيم العصرية والعلمانية، ساندته شعبية كبيرة ستكون سندا له عند اتخاذ قراراته الجريئة^٣.

فحينما تسلم بورقيبة السلطة، كان قد حدد مسبقا موقفه من الإسلام كمؤسسة قائمة ممثلة بالوسط الزيتوني الذي اصطدم مع الحزب الدستوري في مناسبات عديدة قبل الاستقلال^٤، فموقف أول رئيس دولة في البلاد من الهوية كان محسوما ومزدوجا فهو على خصام قديم مع أنصارها وانبهار قائم بخصوصها، لذا كانت النتيجة كارثية على المجتمع قبل الدولة إذ فرض نمط تغريب مسقط سعى من خلاله إلى سلخ تونس من محيطها الحضاري، وإلحاقها بما وراء البحر^٥.

تم النظر إلى الإسلام على أنه عقبة تحول دون أي تحرر وأي تحديث^٦ خاصة بعد أن فشل النظام في الحصول على تأييد جامع الزيتونة لسياسته^٧، فهمش الإسلام في مفاصل الدولة وأجهزتها "كما أن الازدراء الرسمي بالإسلام وبمقومات الهوية قد بلغ أقصاه في أواخر الستينات"^٨، ففي مواقف كثيرة تم توظيف الدين لخوض معركة التحرر الجديدة في رُعم النظام، فتحول مفهوم القدسية من

^١ راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية ص ٤٣.

^٢ المرجع السابق، ص ٤١.

^٣ عبد اللطيف الهرماسي، ص ٣١.

^٤ عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص ٣٤.

^٥ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٤٨.

^٦ توفيق المدني، المعارضة التونسية، ص ٢٧٥.

^٧ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٣٤.

^٨ محمد القوماني، "المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، لماذا الإسلام وكيف نفهمه"، (تونس: دار البراق

للنشر، ط ١، ١٩٨٩)، ص ٦.

الإطار الديني التقليدي إلى إطار قدسية الدولة وقدسية الجهاد ضد التخلف^١. كما مارست الدولة الوصاية والرقابة على الشعائر الدينية^٢.

أرسى بورقيبة دولة لائكيه حديثة بمفاهيم وأنماط غربية، خطوة جريئة لم تكن لتتحقق إلا بعد استقرار الساحة من الخصوم اليوسفيين وقبر مشروعاتهم العربي الإسلامي^٣، هذه التغيرات أو الاختيارات السياسية الجذرية والتي صادمت مكونات راسخة للشخصية التونسية وإن بدت أنها قد نجحت في بداياتها حيث حلق طائر الحداثة إلى درجة لم يعد معها إمكانية الحديث عن العودة إلى الوراء^٤، تسببت في أزمة بنيوية عميقة داخل المجتمع^٥، أي ما يعبر عنه بأزمة التغريب.

إن البروقبية كنهج سياسي وفكري ساهمت إلى أبعد الحدود في ظهور التيار الإسلامي، فالتطرف في تبني أطروحات الغربيين أدى إلى ردة فعل النخب التي لا تؤمن بالبديل الغربي في تونس^٦، فبرزت الحركة الإسلامية كظاهرة اجتماعية ثقافية وسياسية متميزة ومركبة، تجسدت في موجة واسعة من التدين وارتداد المساجد، وعود جارف لقيم وتصورات وأنماط سلوك كان الكثير الكثير يعتقد في أواخر الستينات أن تيار التحديث قد ذهب بها إلى غير رجعة^٧.

^١ المديني، المعارضة التونسية، ص ٢٨١.

^٢ المرجع نفسه، ص ٢٨١.

^٣ يعتبر عليّ العلاني في كتابه الإسلاميون التونسيون، أن المشروع البورقيبي هو مشروع يرتكز على التحديث وهو عبارة عن تواصل للفكر السياسي الإصلاحي لخير الدين ص ٣٤، فحين يرى الغنوشي أنه بلا بد من التمييز بين التحديث والتغريب بمعنى الفرق بين استيعاب العلوم الغربية وبين سلخ هوية المجتمع، وأن ما قام به بورقيبة هو تحديث مغشوش متطرف، وتغريب سعى من خلاله بورقيبة إلى عملية إلحاق تونس بما وراء البحر، ص ٤٨

^٤ يونس الحاج يونس، "الطاغية بن علي وحركة النهضة"، (تونس: المكتبة الوطنية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث - ٢٠١١)، ص ١٢.

^٥ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٨٨.

^٦ المديني، المعارضة التونسية، ص ٢٨٣.

^٧ يحي أبو زكريا، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٥٣.

^٨ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٧.

رابعاً: آثار فشل السياسة الاقتصادية

على الرغم من كون الحركة لم تتبنى في بداياتها المسألة الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنه هناك توافق شبه تام على أن العوامل الاقتصادية هي من أبرز الأسباب الأساسية في ظهور الحركات الإسلامية^١.

فعندما فشلت التجربة التعاقدية بتونس سنة ١٩٦٩^٢، شكل هذا الحدث منعرجاً مفصلياً في تاريخ البلاد إذ دخلت في أزمة اقتصادية اجتماعية جعلت الدولة البورقيلية تكشف عن حجم إخفاقاتها^٣. ومما لا شك فيه، أن هذا التحول قد أحدث هزة داخل المجتمع أفقد الدولة مصداقيتها فبدأ التشكيك في قدرة الدولة الحديثة العهد على تحقيق شعاراتها وبرامجها^٤، بل وطرح إمكانية إعادة النظر في خياراتها الاقتصادية والاجتماعية^٥، وهو ما عجل بظهور الحركة الإسلامية^٦، كطرح بديل.

إن تحول السلطة إلى تبني الليبرالية كردة فعل على هذا الفشل تسبب في ظهور رأسمالية أدت إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية بصورة لم تشهدها البلاد من قبل، فبينما تراكمت ثروات فاحشة بسرعة مذهلة عبر استغلال طرق الاحتكار والمضاربة والتحليل والسوق السوداء، لم تتحسن أوضاع الطبقات والفئات الكادحة^٧، وهو أمر كرس الطبقيّة داخل المجتمع التونسي وبالتالي بروز وضعية توتر خلقت جواً مربكاً بين السلطة و الاتحاد العام التونسي للشغل^٨، ترجمت في شكل صدامات مع

^١ نغم محمد صالح، "الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب، تونس، الجزائر)"، (الخرطوم: الجنان للنشر، ط ١، ٢٠١٠)، ص ١١٠.

^٢ "مع بداية الستينات، وفي إطار التجربة الاشتراكية، أسند بورقيبة للمناضل النقابي والسياسي أحمد بن صالح ما لا يقل عن ٦ حقائب وزارية لإنقاذ ولإنجاح المخطط التنموي العشريني ولتنفيذ تجربة التعاقد من خلال تطبيقها أولاً في القطاع الفلاحي ثم القطاع التجاري، إلا أن التجربة ما لبثت أن باءت بالفشل مع تراكم الديون العجز المالي لمشاريع التعاقدات الناشئة"، العمدوني، ص ٢٢.

^٣ لطفي العمدوني، "تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، أطوار من النشأة والمحاكمات السياسية الكب رى ١٩٦٥-١٩٨١"، (تونس-٢٠١٥)، ص ٢١.

^٤ عليّة العلاني، المعارضة التونسية، ص ٣٩.

^٥ تفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٢٨٣.

^٦ المصر السابق، ص ٢٨٦.

^٧ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٦٥.

^٨ الاتحاد العام التونسي للشغل: تأسس في ٢٠ جانفي ١٩٤٦، أعرق اتحاد عمال في الوطن العربي، وهو سلسل جامعة عموم العملة التونسية التي تأسست في ٣ ديسمبر ١٩٢٤ ويعتبر الاتحاد من أبرز المنظمات الشغيلة فيما

السلطات، لعل أهمها أحداث ٧٨ التي ستكون سبب اندفاع الحركة للاهتمام بالمسألة الاجتماعية، إذ ثمة مؤشرات على أن الحركة بعد تلك الأحداث بدأت تعي بهامشيتها إزاء الصراع الاجتماعي.^١

خامسا: الفراغ الأيديولوجي

كانت تونس قبيل نشأة الحركة الإسلامية تعيش فراغا أيديولوجيا يعود إلى عدة أسباب لعل أبرزها الدمج بين محاولة التحديث البورقيبي بفكرة عبادة الشخصية التي تحول معها الرئيس إلى الزعيم الملهم و المجاهد الأكبر^٢، وهو ما مهد جليا لهيمنة الحزب الواحد على الحياة السياسية^٣، إضافة إلى تصفية كل أصوات معارضة بدأ بالزواتنة واليوسفيين بسبب موقفهم من قضية الهوية إنتهاء باليسار لمعارضته سياسة الحكومة الاقتصادية ، أدت هذه الوضعية إلى خلق فراغ أيديولوجي داخل المجتمع، وأصبح هذا الفراغ السمة المميزة لفترة السبعينات والثمانيات^٤، لذا جاءت الحركة الإسلامية في الزمن الذي سحق فيه بورقبيية كل معارضيه وبدأ الفراغ سمة شاملة^٥، يقول حميدة نيفر وهو أحد القيادات المؤسسة لحركة الاتجاه الإسلامي: "هذا الفراغ الذي كنا نخترقه ونتحرك فيه لنملاً بعضاً من جوانبه الممتدة أتاح لنا انتشاراً وتوسعا توسعا غير متوقع"^٦.

سادسا: ظهور المعارضة الدينية

كردة فعل على نهج التغريب الذي تبنته دولة ما بعد الاستقلال، عرفت مرحلة الستينات من القرن الماضي محطات هامة كان لها الفضل في نشأة الحركة الإسلامية، من أبرزها ظهور المعارضة ذات المضمون أو التوجه الديني^٧، من ذلك على سبيل المثال مارس ثلة من المشايخ أنشطة فردية بعد غلق جامع الزيتونة تهدف إلى المحافظة على الشخصية الإسلامية ضد تيار التغريب مما

كان يسمى العالم الثالث. فتحي ليسير، "معجم الثورة التونسية"، (تونس: دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠١٢)، ص ٢٣.

^١ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٨٨.

^٢ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، ص ١٩.

^٣ سنة ٧٥ تم انتخاب بورقبيية رئيسا مدى الحياة لتونس.

^٤ علية العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٤٨.

^٥ لطفي العمدوني، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٢١.

^٦ حميدة نيفر، "من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، الإسلاميون في تونس، مسيرة ألم وأمل"، (تونس: سلسلة كتاب الإصلاح، ط ٣، ٢٠١٥)، ص ٢٤.

^٧ عبد القادر زعل أمال موسى، "حركة النهضة بين الإخوان والتونسية"، (تونس: معامل الطبعة، ط ١، ٢٠١٤)، ص ٢١.

عرضهم للصدام مع النظام في عدة مناسبات، من بين هذه الأنشطة على سبيل الذكر لا الحصر، حلقات الذكر التي بدأها الشيخ أحمد بن ميلاد، والتي كانت منطلق النواة التأسيسية للجماعة الإسلامية . إضافة إلى إصدارات مجلة المعرفة لصاحبها الشيخ عبد القادر سلامة، والتي أوقفت بسبب مقال ساخر حول دعوة بورقيبة للإفطار في رمضان.

كذلك كان للشيخ محمد صالح نيفر "نشاط متعدد الأوجه و الجبهات" ^١ من ذلك عمل على بعث الجمعيات الرياضية والدعوية كجمعية الشبان المسلمين، ومدرسة البنات المسلمة، ودار الرضيع وأصدر المجالات كمجلة الشبان المسلمين، كما أن نشاطه الحثيث قد أغضب السلطة القائمة فتم التضييق عليه مما اضطره إلى مغادرة تونس سنة ١٩٦٩ في اتجاه الجزائر. ^٢ بدوره تعرض الشيخ عبد الرحمان خليف إلى النفي عقب معارضته دخول ممثلات لمسجد عقبة بن نافع، بغية التصوير فيه لمشهد سينمائي، فقامت بالمدينة مظاهرات معارضة لهذا القرار المتعسف بحق شيخهم رفع فيها شعار "الله أكبر ما يمشيش" انتهت بوقوع عدد من القتلى و الاعتقالات ^٣.

المطلب الثاني: العوامل الإقليمية للنشأة

على غرار الأوضاع الداخلية، تضافرت جملة عوامل خارجية أسهمت في ظهور الحركة الإسلامية، لعل أهمها نشأة جماعة الإخوان المسلمين في مصر والتي شكلت رافدا فكريا وتنظيما لحركة النهضة في مرحلة من مراحلها المتقدمة، إضافة إلى حرب يوليو والتي طرحت البديل الإسلامي على الساحة بقوة، كذلك الثورة الإيرانية وكان لها دور في إمداد الحركة بالمفاهيم الاجتماعية فضلا عن تصورهما للسلطة.

أولا: نشأة جماعة الإخوان المسلمين

نشأت جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ في مصر على يد مؤسسها الإمام حسن البنا، كانت الجماعة بمثابة ردة فعل على توسع الغرب المتزايد داخل مصر والأمة العربية والإسلامية

^١ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٣٤.

^٢ المرجع نفسه، ص ٣٤.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٩.

^٤ يوسف الحناشي، "الإسلام السياسي في تونس، النشأة والانبعاث"، (تونس: ٢٠١٢)، ص ٣٥

قاطبة،^١ لكنها تحولت إلى حركة سياسية لها تنظيم محلي ودولي فضلا عن أدبيات قائمة الذات أثرت على بقية الأقطار الإسلامية خاصة في مسألة التمهيد لظهور الجماعات الإسلامية، ذلك أن انتشار الحركة لم يقف عند حدود مصر بل تجاوزها إلى بلدان عربية أخرى، خاصة عن طريق الطلبة العرب والمسلمين الذين درسوا بمصر وأقاموا بها^٢، يمكن القول إذن، أنه كان للإخوان المسلمين في مصر فكريا وتنظيما فضل كبير على بقية الحركات الإسلامية.^٣

وفي تونس لم يكن للحركة فرع في دولة ما بعد الاستقلال، لكن البلاد عرفت محاولة استتساخ التجربة في مرحلة الاحتلال الفرنسي تحديدا سنة ١٩٤٨، حيث عمد أحد رموز الحزب الحر الدستوري القديم وهو نور الدين القليبي بعد عودته من المشرق إلى بعث تنظيم بفكر الإخوان المسلمين أطلق عليه اسم " حركة البعث الإسلامي"، غير أن هذه المحاولة لم يكتب لها الاستمرار.

أما في الستينات، ولعدة اعتبارات سياسية لعل أهمها مسألة تقسيم فلسطين، تفجر الخلاف بين عبد الناصر وبورقيبة، وكردة فعل عن هذا الصراع تضامن الأخير أي بورقيبة نكايه في عبد الناصر مع المعتقلين من الإخوان، وسمح لكتبهم بدخول تونس وهو ما فسح المجال أمام شباب الجماعة الإسلامية من التمكن من المادة العلمية الإخوانية التي وجدوا فيها أجوبة لأسئلة عجزت مؤسسة الزيتونة عن تقديمها، حتى أن جل المؤسسين لم يخفوا تأثرهم بالوافت الإخوانية خاصة في بداياتهم، ككتب الإمام حسن البنا وسيد قطب.

ثانيا: حرب يوليو ١٩٦٧

مما لا شك فيه أن هزيمة ١٩٦٧ أو ما يعبر عنها بحرب الأيام الستة قد شكلت فارقة في تاريخ المنطقة والأمة، إذ تسببت عواقبها في احتلال أراض عربية من قبل العدو الإسرائيلي في مدة تعتبر قياسية، الأمر الذي شكل صدمة لدى الرأي العام العربي بالدرجة الأولى ثم لدى الساسة، فهي حرب انتهت قبل أن تبدأ.

^١ ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، (ترجمة عبد الله رضوان)، (القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير، ١٩٧٧)، ص

٤.

^٢ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٣٦.

^٣ محمد المختار الشنقيطي، "الحركة الإسلامية في السودان"، (لندن: دار الحكمة، ط ٢، ٢٠٠٢)، ص ٦٩.

^٤ علية العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٣٠.

يذهب جمع من الباحثين إلى أن حرب ١٩٧٦ كانت من أهم عوامل انتشار حركات الإسلام السياسي، إذ كانت الهزيمة بداية أزمة خانقة في بنية التيار الفكري القومي، أيضا كانت تعني هزيمة القومية العربية ومشارعيها. أدت الأحداث إلى تقلص تأثير الفكر القومي في البلدان العربية ومنها تونس، وهو ما نتج عنه فراغ أيديولوجي واضح ستملؤه الأطروحات الإسلامية لاحقا.^١ كما أحدثت هذه الهزيمة رجة عميقة في ضمير وكيان الأمة، كانت من أهم مخرجاتها انطلاق المراجعات للأطروحات السابقة، وطرح البدائل فكانت المقاربة الإسلامية لأزمة الأمة حاضرة بقوة وتطرح في نفس الوقت الصحة الإسلامية بديلا عن كل الايديولوجيات المتهاففة، فهذا الحدث جعل من الفئات الأكثر وعيا وتهميشا تلجأ إلى المخزون الإسلامي لتجعل منه مقاربة جديدة تتمثل عبرها الوضع الراهن ومعالجته.^٢

كما يذهب الباحث في الحركات الإسلامية عبد المنعم منيب، أن هزيمة ٦٧ ألهمت حماس الشباب ودفعت بهم إلى مزيد النشاط داخل إطار الحركات الإسلامية، إلا أن السبب الفعلي وراء ظهور الحركات الإسلامية أعمق من ذلك، فهي نتيجة طبيعية وحتمية لمسار فصل الدين عن السياسة بدرجة أو أخرى، كانت لها تجليات عبر التاريخ الإسلامي، بمعنى كلما حدث الفصل ظهرت المعارضة ذات المضمون الديني.^٣

ثالثا: الثورة الإيرانية

يعود تاريخ اندلاع الثورة الإيرانية إلى حدود سنة ١٩٧٩، حيث أطاحت بنظام الشاه ومكنت المجلس الأعلى الإسلامي من الحكم بقيادة آية الله الخميني كما تعد من أهم أحداث القرن العشرين وأكثرها جدلا، ذلك أنها أحدثت زلزالا فكريا وسياسيا ودينيا في العالم وباتت من أكثر الأحداث متابعه واستقطابا فهذه الثورة فرضت الإسلام بالقوة على جميع وسائل الإعلام في العالم، ذلك أن طرافتها تكمن في كونها ذات طابع إسلامي.^٤

^١ عليا العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٣٩.

^٢ العمدوني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٢١.

^٣ نعم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي، ص ١٣٣.

^٤ عبد المنعم منيب، "دليل الحركات الإسلامية"، (القاهرة: مكتبة مدبولي - ٢١٠١)، ص ١١.

^٥ بيوض التميمي، واقعنا وأخطر أحداث العشرين، ص ١٧٠.

كما تعتبر الثورة الإيرانية إحدى العوامل الخارجية التي ساهمت في انتشار الحركات الإسلامية، وجعلت من هذه الأخيرة تنظر إلى المستقبل بكثير من الأمل والتطلع.^١ فقد أعطت الثورة نفسا جديرا للخطاب الإسلامي في تناوله للقضايا الاجتماعية، كما أنها قدمت مثالا على أن السلطة ليست مسألة مستحيلة على الجماعات الإسلامية، فهي لم تخلق فقط للمعارضة.

وبناء على ما تقدم من حيثيات دولية ومحلية، يتضح أنه في مثل هذا المناخ كانت أسباب ودواعي ظهور الاتجاه الإسلامي بتونس قد باتت قائمة بل وآكدة^٢، فنشأت الجماعة الإسلامية لتجرح من هذا الوسط المتأزم نمطا جديدا بديلا للحياة وسياقات جديدة للسياسة.^٣

^١ نغم محمد، الحركات الإسلامية في المغرب العربي، ص ١١٤.

^٢ البيان التأسيسي للاتجاه الإسلامي، ٦ جوان ١٩٨١.

^٣ حميدة نيفر، من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، ص ٨٩.

المبحث الثاني

النواة التأسيسية

ترجع أهمية النواة التأسيسية لحركة النهضة للدور الوظيفي الذي اطلعت به والقائم في الأساس على تركيز نواة صلبة لها داخل المجتمع التونسي، وبسبب عفويتها تردت هذه الأخيرة بين تجارب فكرية عدة، كما كانت لها أساليب عمل وخصائص تميزها عن بقية التنظيمات السياسية.

المطلب الأول: الجماعة الإسلامية:

لم تكن الجماعة الإسلامية التي تأسست في تونس في مطلع سبعينيات القرن الماضي عملاً مسقطاً عن تاريخ البلد وصيرورتها الاجتماعية والمؤسسية، فقد كانت الحركة مواكبة ثقافية للتساؤل الحضاري عن مفاهيم الأصالة والذات والهوية^١، خاصة بعد تجربة تغريب طمست فيها ملامح هوية متراكمة وفرض بدلها نموذج ثقافي مستجلب.

أولاً: بدايات النشاط:

إن الديناميكية الجديدة التي مهدت لانبعاث الحركة الإسلامية في تونس لم تبدأ فعلياً إلا عندما تجمعت النواة الأولى^٢، وفي ذلك يقول الصحفي عبد اللطيف الفوراتي: يصعب على المرء تحديد تاريخ واضح لبروز الاتجاه الإسلامي في تونس كنتظيم سياسي قائم^٣، وذلك يعود بالضرورة إلى كون الحركة لم تبدأ ببعث تنظيم سياسي لها منذ وهلتها الأولى، بل مرت بمراحل تشكلت خلالها بنيتها وتطورت هيكلتها التنظيمية، مستجيبة في ذلك لجملة من التفاعلات الداخلية والخارجية.

^١ حميدة النيفر، من الجماعة إلى حركة النهضة، ص ٩٠.

^٢ القوماني، المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، ص ٦.

^٣ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٣٧.

فعندما تأسست الجماعة الإسلامية التونسية كانت مجرد جماعة ثقافية دعوية تتحرك من منطلق بعث الشخصية الإسلامية ووضع حد للاستلاب الثقافي، والتبعية للغرب، وتجديد الفكر الإسلامي^١.

كما كانت بدايات انبعاثها من داخل المساجد، في شكل حلقات دعوية، بدأها الشيخ أحمد بن ميلاد في منتصف الستينات، فكان يحضرها ثلة من الشباب من بينهم الطالب عبد الفتاح مورو إلى أن صار له حلقة خاصة به في جامع حمودة باشا^٢، يدعو من خلالها الشباب، وشيئا فشيئا توسعت الحلقة، وعرفت انضمام عناصر أساسية سيكون لها دور بارز في نشأة الجماعة، من ذلك انضمام حميدة النيفر لحلقة عبد الفتاح مورو سنة ١٩٦٨ بعد جلسات استماع إلى خطبه^٣. كما عرفت نفس السنة انضمام صلاح الدين الجورشي إثر دعوته إلى حلقة نقاش بالمسجد^٤.

وشهد عام ١٩٦٩ عودة الشيخ راشد الغنوشي^٥ الذي كان في زيارة عائلية وعند عودته إلى فرنسا مر بجامع الزيتونة فصادف حلقة ذكر يقول عنها: "كانت مفاجأتي كبيرة أن رأيت حلقة تدريس تضم بضعة عشرات من الصبية وبعض المسنين، فتعرفت من خلال هذه الحلقة على جماعة التبليغ والدعوة، وكان تعرفي على تلك الحلقة قد أعاد إلي الأمل أن الخير لم ينقطع في هذا البلد المنفلت^٦، فقرر راشد الغنوشي الانضمام إلى المجموعة وأحجم عن العودة إلى فرنسا ويواصل قائلًا: وهكذا باشرنا العمل الفعلي وأخذنا نجمع الشباب حولنا، فأخذت تلتف حولنا أعدادا كبيرة^٧". كما كان لمثل

^١ يحي أبو زكريا، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٥٣.

^٢ لطفي العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ٢٥.

^٣ مجموعة مؤلفين، من الجماعة إلى الحركة، ص ١٥٢.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٥٤.

^٥ "ولد الشيخ راشد الغنوشي سنة ١٩٤١ في قرية صغيرة في الجنوب التونسي تعرف (بالحامة) بمحافظة قابس، كما درس بالمدرسة الزيتونية بها قبل أن ينتقل إلى الخلدونية بالعاصمة حيث نال شهادة التحصيل سنة ١٩٦٢، وانتدب بعدها معلما في التربية الدينية في قفصة حيث مكث هناك سنة، وفي ١٩٦٣ انتقل إلى مصر ليلتحق بالأزهر لكنه بعد أقل من عامين انتقل إلى سوريا بسبب تدهور العلاقات المصرية - التونسية، وفي سنة ١٩٦٥ تحصل على شهادة الأستاذية لشعبة الفلسفة في جامعة دمشق. ثم انتقل إلى باريس ليواصل دراساته العليا هناك، لكنه انقطع عن الدراسة بعد عام، وعاد إلى تونس حيث استقر بها إلى حدود نفيه، وأصبح مدرسا للفلسفة. توفيق المديني، مرجع سابق، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

^٦ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٣٧.

^٧ عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٤٢.

هذا الانضمام دور رئيسي في التأسيس الفكري والنظري وكذلك تركيز الهيكل التنظيمي للاتجاه الإسلامي في تونس.^١

أثمرت الجهود الدعوية مع الوقت أي في حدود سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ في تشكل مجموعات شبابية في المساجد^٢ تلقفها مشايخ الزيتونة الذين وجدوا فيها حركة انتصار لهوية البلد وهواجس حال النظام دونها، إذ يمكن القول بأن الوسط الزيتوني في معظمه وبشقيه الذي اندمج صلب النظام وأظهر الخضوع والذي بقي على رفضه خارج المؤسسة الدينية الرسمية، قد وجد في انطلاق العمل الإسلامي الجديد تعبيراً عن مشاغله وعدم رضاه فضلاً عن نقمته على موقف السلطة إزاء الدين والمؤسسة الدينية.^٣

ومن أبرز المشايخ الذين احتضنوا النهضة الإسلامية في نهاية الستينات، الشيخ محمد صالح النيفر والشيخ عبد القادر سلامة، فلقد كان لهما دور مهم في توجيه هؤلاء الشباب، إذ كان الشيخين^٤ ثنائياً فريداً من جملة المشايخ في التواضع، وفي العلاقة مع الشباب، وفي العلاقة مع الناس.^٥

ثانياً: مكون النواة التأسيسية.

حينما نشأت الظاهرة الإسلامية في منتصف الستينات وبدايات السبعينات، اتسمت بالتعدد نظراً إلى تنوع مكوناتها^٦ حيث كانت ملتقى لتيار واسع من الألوان الفكرية والمنازع السياسية والأمزجة المتعددة ضمن منظور أصولي إسلامي،^٧ جاء في كتاب من تجربة الحركة الإسلامية للغنوشي أن الحركة كانت ثمرة تمازج وتفاعل لعناصر ثلاثة أسهمت في تكوين الظاهرة بدرجات متفاوتة:

- العنصر الأول: التدين التقليدي التونسي، ويتكون في أساسه من، التقليد المذهبي المالكي والعقائد الأشعرية والتربية الصوفية.

^١ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٢٨٦.

^٢ العمودي، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٢٨.

^٣ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٥٤.

^٤ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٢٥٦.

^٥ المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

^٦ المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

- العنصر الثاني: التدين السلفي الإخواني، المتكون بدوره من المنهج السلفي، القائم في تصويره على محاربة البدع والعودة إلى الأصل (الكتاب والسنة)، إضافة إلى الفكر السياسي والاجتماعي الإخواني القائم على تأكيد شمولية الإسلام، ومخرجاته كمبدأ الحاكمية، ومبدأ العدالة الاجتماعية.

- العنصر الثالث والأخير وهو التدين العقلاني أو اليسار الإسلامي، والذي لم يعبر عن نفسه بشكل واضح، إلا في مرحلة متأخرة نسبياً في النصف الثاني من السبعينات، وإن كان موجوداً منذ وقت مبكر حيث جرفه في النصف الأول من السبعينات التدين الإخواني، لكن لم يلبث أن توقف متحيراً متسائلاً عن نفسه.^١

هذه العناصر التركيبية للظاهرة الإسلامية في نشأتها والتي يتراوح تكوينها بين غلبة الطابع التقليدي والتنشئة المختلطة والتكوين الحديث، مع تأثرها مبكراً بالفكر الديني، تمثل رموزاً للأوساط التي تحمست للعمل الإسلامي^٢، كما أن التنوع في المنازع كان في مرحلة من المراحل قد تسبب في انشغاقات داخل الحركة، كما تميزت مكونات الحركة أيضاً بجملة خصائص ساهمت في لحمتها وترباطها، وسرعت من انتشارها في وسط محيطها، ومن بين هذه الخصائص:

- التقارب العمري حيث كان المعدل العام للأعمار بين (٢٢ و ٣٢ سنة).
 - التكوين العلمي، إذ أن أغلب المنتمين متعلمين يتمتعون بمستوى تعليمي وتكويني يتراوح بين البكالوريا والجامعة.
 - التقارب الطبقي، أي أن أغلب الشباب الإسلامي يدين بانتماء اجتماعي إلى الطبقة الوسطى، وهو ما سيجعلها في فترة لاحقة أكثر وعياً بالمشاكل الاجتماعية.^٣
- إن غلبة عنصر الشباب على الحركة جعلها تتشابه مع الحركات اليسارية الشابة في هذه الخاصية، إلا أنها تتفرد بمسألة "وجود نسبة من الكهول والشيوخ في صفوفها، مما يدل على وجود تواصل بين الأجيال".^٤

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٧٤.

^٢ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٥٢.

^٣ حميدة نيفر، من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، ص ٢٨.

^٤ عبد الطيف الهرماسي، الحركة الإسلامية، ص ٨٢.

ثالثا: منهج النواة التأسيسية

اعتمدت الحركة في بدايات نشاطها منهج أهل التبليغ والدعوة، وهي طريقة تقوم على التنقل بين القرى والأرياف والنزول في المساجد ودعوة الناس في الشوارع والأسواق والمقاهي وإبلاغهم دروسا في التوعية الإسلامية وتذكيرهم بواجباتهم الدينية^١.

ويعود سبب اعتماد الحركة على هذا المنهج في النشاط في بداياتها إلى ثلاثة أسباب رئيسية تتمثل في:

أولا، بما أن الجماعة الإسلامية كانت ردة فعل على مشروع التغريب، كان لهؤلاء الشباب قناعة بأن العمل الإسلامي ينطلق بالأساس من العمل الجماعي وأن الإصلاح لا يتم إلا في إطار المجموعة، لأن المشروع العلماني ليس مشروعا فرديا وإنما هو مشروع منظم تشرف عليه مؤسسات ومقاومته لا يمكن أن تتم إلا بأداة مشابهة^٢.

ثانيا، حينما كان راشد الغنوشي طالب دراسات عليا في قسم الفلسفة بفرنسا تعرف على جماعة التبليغ وصاحبهم فتأثر بتجربتهم، وواكب أنشطتهم فضلا عن التكون في حلقاتهم، يصف الغنوشي تلك التجربة أي النشاط مع التبليغيين في مساجد فرنسا أنها كان لها أثر ظل ملازما لشخصيته، حتى أنه عندما عاد إلى تونس عاد بفكر إسلامي سياسي إخواني مودودي وفلسفي، لكن بتجربة عملية تبليغية، ولم يكن له وقتها منهج أو تصور عملي للتحرك بالإسلام بعدما عاد إلى تونس غير منهج التبليغ^٣.

ثالثا، وفي سنة ١٩٦٩ زار وفد دعوي تبليغي من بنغلادش تونس، بقيادة الشيخ "روح القسط"، جاب الوفد الأرياف والأسواق والمجامع المختلفة قبل أن تتقطن له السلطات التونسية وتمنعه. وقد كان لانفتاح المنهج وتأثيره على المتلقين وقع انبهار على الشباب الإسلامي، مما جعلهم يتحمسون لهذا المنهج^٤.

^١ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٣٨.

^٢ لطفي العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٨١.

^٣ الغنوشي، تجربة الحركة الإسلامية، ص ٣٢ - ٣٣.

^٤ حميدة نيفر، من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، ص ١٥٩.

تميز هذا المنهج بالعلنية والجرأة في التواصل والانفتاح على الناس، حيث أنه " كسر حاجز الخوف والارتباك أو الخوف من الصدود، واقتحام المجالس"^١. كما ظل العمل بهذا المنهج ثلاث سنوات متتالية.^٢ وإن ساهم هذا المنهج إلى حد كبير في انتشار الجماعة بسبب بساطته والتصاقه بالناس فيما يهم مسائل دينهم، أصبحت تحركات الشباب وأنشطتهم محط أنظار السلطة وموقع شك، خاصة بعد تزايد إعداد المنتمين، مما عرضهم إلى الاعتقالات والتضييقات، " فكانت مثل هذه الإيقافات المتكررة تجعل من ذلك المنهج عرضة للتقييم والتفكير، في ظل عدم تناسبه مع البنية البروقيبية، التي يستفزها كل نفس دعوي إسلامي علني"^٣.

ومنذ تلك المرحلة بدأ التفكير في المنهج السري، خاصة أن الغنوشي عاد من سوريا ومصر بتجربة واسعة اكتسبها من خلال مواكبة نشاط طلاب الإخوان المسلمين في جامعات تلك الدول، وبسبب ذلك كان يعتبر رجل تنظيم بامتياز.^٤

رابعاً: خطاب الجماعة الإسلامية.

اتسم خطاب الجماعة الإسلامية منذ نشأته بالتفاعل مع السياقات القائمة للمرحلة، فلئن ظهر في خضم السؤال الحضاري عن الانتماء والهوية، هيمنت هذه النقطة على خطابه، فضلاً عن نقد مظاهر التغريب التي اعترت المجتمع التونسي، فاعتمدت الجماعة في سنواتها الأولى على خطاب ثقافي في مضمونه، بيداغوجي في ذاته، كما أن خطاب الجماعة في منشئه لم يكن متجهاً إلى نقد السلطة السياسية بقدر ما ارتكز على مقاومة الإلحاد والشيوعية والثقافة الغربية.

وعلى ضوء ذلك كانت محاور خطاب الجماعة تتمركز على أقطاب ثلاثة وهي كالآتي:

^١ لطفي العمودي، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٨١.

^٢ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٣٣.

^٣ لطفي العمودي، تاريخ الحركة الإسلامية ٨٣.

^٤ يشير عليه العلاني في كتابه إلى أن من أحد أسباب سرية الجهاز التنظيمي للجماعة منذ السبعينات إلى ما بعده عائد إلى " العقلية الأمنية لدى الحركات الأصولية التي تتصح قيادتها بعدم الاقتراب من دائرة الضوء " الإسلاميون التونسيون ... ص ٦٠. هذا الكلام يتضمن قراءة تعسفية على الجماعة الإسلامية في تونس، إذ أن أحداث التاريخ تؤكد أنها لم تفكر في منهج السرية إلا بعد الصدام مع النظام القائم آنذاك، ولو كانت تفضل هذا المنهج لاختارته منذ البداية، إذ أن اعتماده كان اضطراراً وليس خياراً.

- محور عقائدي، يقوم على ترسيخ العقيدة الإسلامية، وإثبات تفوقها ومحاربة البدع، والدعوة لاتخاذ الإسلام منهج حياة.

- محور أخلاقي اجتماعي، يقوم على نقد مظاهر الحياة العامة والتركيز على ما يعتبر الانهيار الأخلاقي بسبب عدم الالتزام بالإسلام.

- محور ثقافي فكري، يتضمن نقد مضامين البرامج التربوية والتنقيفية والقيم المتأتية من الغرب.

لكن وعلى غرار المنهج عرف مضمون الخطاب أيضا تغيرات بسبب التفاعل مع معطيات البيئة التونسية بالدرجة الأولى، فضلا عن وعي قياداته بمتطلبات المرحلة، إذ تطور خطاب الجماعة الإسلامية من خطاب تربوي وعقائدي وفكري إصلاحي في غالبيه، إلى خطاب سياسي راديكالي في نقد السلطة.^١ يقول عبد الفتاح مورو موضحا خطاب الحركة الجديد: " هو خطاب قائم على الإسلام دين حياة، لم يعد يتحدث عن الوضوء والصلاة فقط، التي مجها الناس بل صار يتحدث عن كون مجتمعاتنا تحتاج إلى الإسلام كحل لمشاكلها"^٢، ومن أبرز الدلائل على ذلك محتوى إصدارات المجلات الناطقة باسم الجماعة إذ عكست مضامين تبرهن " طغيان الجانب السياسي على الجوانب الأخرى".^٣

المطلب الثاني: آليات نشاط الجماعة

أولاً: الجمعيات

مثل الاحتكاك بالغرب بدايات ظهور مسألة الفصل بين السياسي والديني أي العلمانية، وهو ما جعل الدولة تتخلى عن دورها في حماية الدين، الأمر الذي فسح المجال أمام الحملات التبشيرية للتجرو والنشاط داخل الأقطار الإسلامية، تعمقت الأزمة أكثر مع دولة الاستقلال التي اختارت نهجا صداميا مع الدين عبر تهميشه، وفي أحيان أخرى عبر إخضاعه وتطويعه لخدمة سياساتها. تسببت هذه السياسات في بروز وضعيات هشة هددت سلامة عقيدة البلد، وكردة فعل على ذلك بدأت

^١ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، ص ١٠٧.

^٢ الحلقة ٢ من برنامج شاهد على العصر، (عبد الفتاح مورو) بثت بتاريخ ٤/٥ / ٢٠١٥:

<https://youtu.be/CjN68q6xX1>

^٣ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٣٠٢.

تظهر الجمعيات الإسلامية والتي عنت بالحفاظ على الهوية الإسلامية وشعائرها ورمزها وسلوكها من العلمانية".^١

تعتبر جمعية المحافظة^٢ على القرآن الكريم من أهم المناشط الحاضنة للنواة التأسيسية إذ انضمت هذه الأخيرة إليها في بدايات السبعينات تحديدًا سنة ١٩٧١^٣، وقد قيل الكثير حول سكوت السلطة عن تواجد هذه الجمعية فمنهم من يورد أن النظام كان يقصد من وراء السكوت عنها التصدي للمد الشيوعي الذي كان يكتسح الجامعات في تلك الفترة^٤، وآخر يقول بأنها كانت وسيلة للاستفادة من الشعور الديني في وقت كانت فيه الدولة تتجه إلى تبني سياسات اقتصادية ليبرالية^٥، في حين يرى شق آخر أنها أنشأت بعد إقناع النظام بضرورة وجود تونس في التمثيلية الدولية لحفظة القرآن الكريم^٦.

وقد قام الشيخ محمد المستاوي والشيخ شادلي النيفر بدور هام في تشجيع الشباب على استثمار فرص العمل الممكنة في داخل الجمعية، كما فتح الباب لعضويه مورو في قيادة الجمعية فعملوا على تأسيس املاءات قرآنية منتظمة بمختلف جهات البلاد وتركيز دروس دينية وتظاهرات علمية ومسابقات قرآنية ورحلات ترفيهية، مما أحدث حراكًا متميزًا وأفقًا واسعًا للتأثير والتأثير في المجتمع ودعوة الناس للإسلام والفكرة الإسلامية."

^١ نغم محمد، الحركات الإسلامية في المغرب العربي، ص ٨٦.

^٢ تكونت جمعية المحافظة على القرآن الكريم سنة ١٩٦٨ بقيادة الشيخ الحبيب المستاوي والذي يعد رائدًا في العمل الإسلامي عبر تكوينه حلقة بجامع الزيتونة، وبعثه مجلة " جوهرة الإسلام " الدينية في منتصف ١٩٦٨، وكان المستاوي متشيعًا لمصالح بن يوسف غير أنه عاد إلى صفوف الحزب وانتخب عضو لجنة مركزية للحزب الحاكم، ويذكر صلاح الدين الجورشي أن الشيخ أراد استدراج الإسلاميين كمجموعة شابة في إطار الحزب الحاكم وكان شعاره ندخل الحزب لتغييره من الداخل، وهو من دعاة العمل داخل جهاز الدولة. المدني، ص ٢٨٦. في حين تذكر مصادر أخرى بأن " جمعية المحافظة على القرآن الكريم تأسست سنة ١٩٦٦ على يد الشيخ محمد الباجي أحد الدستوريين الحفظة لكتاب الله بمساعدة وزير الثقافة الشاذلي القليبي الذي أقنع بورقيبة بالحاجة إلى تمثيل تونس في المحافل الدولية والمسابقات الإسلامية والعربية لحفظة القرآن الكريم ... " العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، ص ٤٠.

^٣ المدني، تاريخ لمعارضة التونسية، ص ٢٩١.

^٤ الحاج يونس، الطاغية بن علي وحركة النهضة، ص ١٢.

^٥ نغم محمد، الحركات الإسلامية في المغرب العربي، ص ٩٧.

^٦ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، ص ٤٠.

ثانيا: المسجد

لم يكن المسجد فقط منصة انطلاق الحلقات والدروس التي شكلت نواة انبعاث الجماعة الإسلامية، بل استمر دورها في تأطير حلقات الجماعة ونشاطها، " يقول راشد الغنوشي في هذا الصدد: " لقد كان لنا فسحة في المساجد لأن النظام التونسي أطمأن إلى أنه قد أجهز على الإسلام^١.

ثالثا: مجلة المعرفة

تم تأسيس مجلة المعرفة سنة ١٩٦١ على يد صاحبها الشيخ عبد القادر سلامة، ولكن وبسبب نشرها مقالا^٢ ساخرا عن الرئيس حبيب بورقيبة تمت مصادرتها، وكان صاحبها قد ظن أنه تم حظرها إلى أن تفتن إلى استمرارية الترخيص فجعل منها لسان حال الجماعة بعد الانضمام إليها، حيث شهدت سنة ١٩٧٢ معاودة صدور المجلة وبقيت شبه داخلية ومتقطعة زمنيا^٣، إضافة إلى مجلة المعرفة أصدرت الجماعة مجلة "المجتمع" التي غلب عليها الطابع السياسي، فصادرتها السلطة.^٤ استمرت تجربة مجلة المعرفة أكثر من ثمان سنوات لعبت خلالها دورا حيويا في بناء الوعي الفكري، فضلا عن التفاعل مع الواقع السياسي والنقابي إلى أن انتهى بها الأمر بالخطر، بسبب موقفها من الثورة الإيرانية سنة ١٩٨٠.^٥

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٢١٩.

^٢ صدر المقال بتاريخ ١ أبريل ١٩٦١.

^٣ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥٩.

^٤ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٣٥.

^٥ المرجع نفسه، ص ٣٩.

^٦ العمدوني، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٦١.

المطلب الثالث: خصائص المرحلة

تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي خاضتها الحركة لما لها من دور بارز في بلورت ملامح صيغة العمل الجماعي الذي حدد نشاط النهضة فضلا عن دوره عن صناعة القيادات التاريخية، وفي إرساء القاعدة التي مكنت الحركة من الانتشار داخل المجتمع، كما تميزت بعدة خصائص أهمها:

أولاً: غياب المشيخة

حينما بدأت الجماعة نشاطها، كان الجامع الأعظم في ذروة عجزه عن القيام بدوره الحضاري بالدفاع عن هوية ومقدسات البلد، بسبب ضرب الدولة للمؤسسة الدينية ومحاصرة المشايخ المعارضين لتوجهات النظام القائم آنذاك، إما بالعزل وإما بالنفي، وهو ما أدى إلى انفكاك الظاهرة الإسلامية الجديدة عن جامع الزيتونة، إضافة إلى ذلك رفض المتبقيين من المشايخ احتضان الظاهرة بسبب الخوف من بطش النظام. يورد راشد الغنوشي في هذا الصدد: "إن الشباب الإسلامي لم يجد في مشايخ الزيتونة الرمزية والنضالية والزعمانية المفقودة لديه"^١. وإن احتضن بعض الزواتنة النواة التأسيسية فإنه لم يكن لهم دور المبادرة ببعثها.

فعلى العكس من جماعة الإخوان المسلمين التي بدأ تواجدها بتمركز أعضاء الجماعة حول شخص الإمام حسن البنا، فإن الجماعة الإسلامية في تونس تميزت بالعفوية وغياب المرجعية العمودية فضلا عن أفقية العلاقة بين أفرادها، إذ لم تكن العلاقات بين المجموعة الأولى علاقات الشيخ بالمريد وهو الأمر الذي سيكون له أثر بالغ في تطور البنية الفكرية للجماعة فضلا عن التردد بين عدة تجارب.

ثانياً: العفوية والتردد بين التجارب

حينما التقت المجموعة الأولى للجماعة الإسلامية، كانت كردة فعل على تيار التغريب المهيمن في البلد، فجمعت بين أنساج مختلفة جمع بينها البحث عن الذات فغلب على عملها العفوية^٢، يقول حميدة النيفر واصفاً تلك المرحلة: كنا في حركتنا الأولى فيما بين ١٩٧٠ - ١٩٧٥ نلتقي ونفترق دون أن تكون لنا رؤية واضحة للوضع العام للبلاد، كنا فاقدين لآلية تحليل تمكن من تركيب

^١ المرجع السابق، ص ٤٠.

^٢ الغنوشي، أطوار من نشأة الحركة الإسلامية.

^٣ حميدة نيفر، من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، ص ٦٣.

العناصر التي تصلنا ضمن رؤية سياسية اجتماعية أو حتى الشروع في وضع جانب من رؤية للمجتمع والسلطة".^١ كما يضيف مورو: "لم نكن عندما التقينا أول مرة في أذهاننا برنامج، وإلى أين سيفضي هذا البرنامج أو أننا سنصبح حركة إسلامية".^٢ وبسبب ذلك غلب على العمل العفوية والبحث عن الذات، حتى أن المؤتمر التأسيسي للجماعة لم ينعقد إلا بعد عشرة من العمل، وكان سنة ١٩٧٩.

خاضت النواة المؤسسة للعمل الإسلامي تجارب مختلفة، فقد سلكت في سنواتها الأولى نهج جماعة التبليغ والدعوة ذات الأصول الباكستانية، وحاولت لاحقا استنساخ تجربة الإخوان المسلمين في مصر، ثم كان التأثير خلال ثمانينات القرن الماضي بالثورة الإسلامية في إيران وبالفكر الاجتماعي لإخوان السودان وبجارب اليسار التونسي بالجامعة.^٣

المطلب الرابع: الإسلاميون المتقدمون

يعتبر هذا الفصل نفسه رافد من روافد اليسار الإسلامي، الذي مثله المفكر المصري حسن حنفي وأسس له تنظيرا وتأسيسا،^٤ كما يغلب على هذا التيار في عمومة المنزع المعتزلي والعقلاني في التفكير حتى عدّ منظره "المعتزلة أصل اليسار الإسلامي".^٥

بدأت القطيعة تتبلور بين شقي الجماعة أي الجماعة الإسلامية و اليسار الإسلامي، على عدة مستويات لعل أهمها كانت سنة ١٩٧٧^٦، حيث تم سحب مقال لحميدة النيفر في مجلة المعرفة وكان أنذاك رئيس تحريرها، مقال ينتقد فيه جماعة الإخوان المسلمين في مصر، فاعتبر ذلك خروجاً عن الخط الرسمي للتنظيم^٧، وكردة فعل على هذا السحب استقال من الجماعة مما دفع بالحركة إلى

^١ المرجع نفسه، ١٨ - ٢٠.

^٢ برنامج شاهد على العصر، (عبد الفتاح مورو) - قناة الجزيرة، ج ٢، ٥/٤ / ٢٠١٥:

<https://youtu.be/CjN68q6xX1>

^٣ نيفر، من الجماعة إلى حركة النهضة، ص ٦٣.

^٤ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٥٤.

^٥ المرجع نفسه، ص ٥٤.

^٦ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٩٠.

^٧ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ٥٦.

تعيين الجورشي خليفة له في رئاسة تحرير المجلة ، ولم يتأخر هذا الأخير بدوره في السنوات الموالية من الانسحاب، كما تمت الإزاحة بمنصف القلعي عن الإشراف على العاصمة بعد تمرده.^١

وتعود أسباب الخلاف إلى حدود منصف السبعينات، حيث زار حميدة النيفر مقر جماعة الإخوان بمصر وعاد من رحلته^٢ وبعيد هذه الزيارة بدأ النموذج الإخواني لديه يهتز ويفقد قدسيته^٣ فشرع على إثر ذلك التساؤل في عدة محاور من بينها العوامل الكامنة وراء قلة الفاعلية عند العنصر الإسلامي التونسي، كما طال التساؤل المشروع النظري والحركي والتربوي الإخواني، وطرح تساؤل إن كان الشعار الإسلامي كاف لمواجهة واقع معقد^٤، ولقد عارض هذا الشق تحويل الجماعة الإسلامية إلى تنظيم سياسي ، وأصرروا على البقاء باعتبارهم تيارا فكريا ثقافيا^٥.

وبما أن الحركة لم تكن في تلك الحقبة مهياة لخصوص الخلافات ذات الطابع الفقهي، التي تطرح أسئلة عقلانية، حول ضرورة محاربة العقلية الحرفية^٦ فضلا عن أن هذه المجموعة كانت في بداياتها تتلمس طريقها بنوع من الاندفاعية، إذ كانت تتبنى "النقد و الجرأة إلى درجة الحدّة وربما التهور أحيانا"^٧، أدت هذه المقدمات إلى انشقاق المجموعة تحت تسمية (الإسلاميون التقدميون)، إما عن اختيار هذه التسمية تحديدا بدل اليسار الإسلامي فيورد أصحابها "إن مصطلح اليسار التصق بالتجارب الماركسية الفاشلة ولوثته الممارسات المتخلقة، فأفقدته الوضوح"^٨.

^١ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ٩٠.

^٢ يقول حميدة النيفر: " تلقينا دعوة إلى زيارة حركة الإخوان المسلمين في مصر سنة ١٩٧٥ وزرت مقر مجلة الدعوة الناطقة باسم الإخوان المسلمين طرحت بعض الأسئلة حول برنامجهم على مدير المجلة عمر التلمساني، فاستغربت وكان كل مرة أُلقي فيها سؤالا يعود إلى مقاطع رسائل حسن البناء، اكتشفت في تلك الزيارة إلى أن جماعة الإخوان تنقذ إلى التكوين والرؤية وإلى مشروع بديل، عدت إلى تونس وعبرت عن رفضي لدعوة الإخوان المسلمين الانضمام إليهم". حركة النهضة بين الإخوان والتونس، ص ٣١.

^٣ القوماني، المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، ص ٨.

^٤ المرجع نفسه، ص ٩.

^٥ فتحي يكن، "المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين"، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨)، ص، ٢٢٩.

^٦ توفيق المديني، المعارضة التونسية، ص ٣٠٤.

^٧ القوماني، المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، ص ١٠.

^٨ المرجع نفسه، ص ١٥.

وتعتبر هذه المجموعة أن المسلم اليساري "هو الذي يجاهد في سبيل الله، والمستضعفين، ويناصر الأيادي العاملة التي يحبها الله ورسوله، ويسعى إلى الحلول الجذرية للقضايا السياسية والاجتماعية." وعلى خلاف الجماعة الإسلامية لا تعتبر هذه المجموعة سبب تخلف المسلمين راجع إلى البعد عن الدين، بل بسبب التخلف الفكري والثقافي.

كانت هذه الانشقاقات إحدى محاور مؤتمر الجماعة سنة ١٩٧٩، والذي حسم فيها بالفصل والاستبعاد، وأما عن القيادات المنشقة فقد تمكنت من حشد أنصار لها وبعثت حركة "الإسلاميون التقدميون" سنة ١٩٨٠. هذا التيار بقي تيارا ثقافيا أكثر منه حركيا، حيث لم يتمكن من الانتشار بسبب نخبوية المواضيع التي كان يطرحها، كما كان منتدى الجاحظ في العاصمة التونسية أبرز واجهات نشاطه.

^١ عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٢١٩.

المبحث الثالث

تطور الهيكل التنظيمي

لم تكن للظاهرة الإسلامية عند انطلاقها تسمية تميزها ولا جهازا تنظيميا يهيكل نشاطها، بل كانت منذ نشأتها في منتصف الستينات إلى حدود ١٩٧٢، ردة فعل على تيار التغريب تميزت بالعفوية، وبانضواء عناصرها المتنوعة تحت مظلة العمل الإسلامي. انتهجت في بدايتها منهجا علنيا على طريقة أهل البليغ والدعوة وإن كانت بمضامين مختلفة بسبب تأثرها بالرافد الشرقي بالأساس. هذا المنهج العلني وإن حقق الانتشار للحركة في المجتمع وبين طلبة الجامعات بالخصوص، إلا أنه جعلها في صدام مع أجهزة الدولة التي استهانت في البداية بالظاهرة الإسلامية أو الصحة الإسلامية كما يعبر عنها أصحابها، مما جعل أعضاء المجموعة يتجهون إلى التفكير في الاتفاق على صيغة عمل سرية ومنظمة. وبالفعل كان لهم ما اتفقوا عليه، إلى أن اكتشفت الدولة هيكلهم التنظيمي السري فأعلنوا عن أنفسهم وفق صيغ قانونية للعمل في مناسبتين^١ لقيت هذه المحاولة رفضا في الأولى ووفي الأخيرة تمكنت من الحصول على التأشيرة.

المطلب الأول: الهيكل التنظيمي قبل الانكشاف الأمني

١- الجماعة الإسلامية

مع تكاثر العناصر المقبلة على حلقات التكوين في الجماعة الإسلامية، طرحت قضية الاستيعاب، وبدأ التنظيم العمل الحلقي ثم تكوين الخلايا وهيكله الأطر القيادية على مستوى المناطق والقطر^٢، كما واكبت هذه الطفرة في الانتشار تضيق من قبل السلطة القائمة إذ أجبر حينها راشد الغنوشي ورفاقه على مغادرة جمعية المحافظة على القرآن الكريم^٣، وقع التفكير في أشكال أخرى للتحرك وفي

^١ المحاولة الأولى كانت سنة ١٩٨١ حينما أعلنت الاتجاه الإسلامي عن نفسها، أما الثانية فكانت سنة ١٩٨٧ حينما غيرت التسمية إلى حركة النهضة.

^٢ عبد اللطيف الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٩٢.

^٣ " لما انعقد المؤتمر الأول والأخير لجمعية المحافظة على القرآن الكريم سنة ١٩٧٠، تم إقحام الجزء الأكبر من التيار الإسلامي الصاعد بقوة في الجمعية القانونية، ووقع فرض توجه جديد فيها، فجري صراع قصير فيها بين

هذا الإطار يتنزل مؤتمر الأربعين^١. يورد الباحث والمنتسب إلى حركة الاتجاه الإسلامي لطفي العمودوني في كتابه حول الحركة الإسلامية شهادة لكل من الشيخ عبد الفتاح مورو وصالح بن عبد الله: "إن الأستاذ راشد الغنوشي كان رائد فكرة بعث التنظيم مستلهما ذلك من تجربته في مصر وسوريا واحتكاكه بالاتحاد الاشتراكي الناصري وعمله صلب تنظيمه وخلاياه، ثم اطلاعه على عمل الإخوان في سوريا وارتياحه لأنشطتهم وحلقاتهم دون الانتظام فيها"^٢

-٢- مؤتمر الأربعين

بالعودة إلى تفاصيل المؤتمر التأسيسي للجماعة أي مؤتمر الأربعين، تم عقد هذا المؤتمر سنة ١٩٧٢ في منزل الشيخ عبد القادر سلامة بضاحية المرناق، حضره مشرفو الخلايا ومنسقو العمل الجهات، وقد انتخب الحاضرون في هذا الاجتماع قيادة ثلاثية وهي: راشد الغنوشي أميرا، أحميدة النيفر نائبا له، وصالح كركر^٣ نائبا له. كما تمخضت عنه القرارات التالية والتي تخص تركيبة الهيكل التنظيمي للحركة:

"يعتبر المؤتمر أعلى سلطة قرار في الجماعة الإسلامية ويتولى تحديد السياسات الكبرى وإفراز المؤسسات وتركيتها ومحاسبتها.

- ينتخب المؤتمر مجلس الشورى وهو بمثابة السلطة العليا لقرار الحركة بين مؤتمرين.
- وينتخب المؤتمر رئيس الحركة الذي يقترح ويقدم مكتب التنفيذي للتركية والموافقة من مجلس الشورى كما يشرف رئيس الحركة على المكتب التنفيذي وعمال المناطق.

الزيتونيين التقليديين وبين رموز الشباب الإسلامي، سرعان ما حسم لصالح الجماعة الإسلامية. وأفضى إحكام القبضة على هذه الجمعية إلى فتح أبواب المساجد أمام دعاة الحركة السياسية الدينية. فتحوّلت الخطب إلى خطابات سياسية معارضة للنظام الاجتماعي القائم وناقدة لقيمه الأخلاقية "(المديني، ص ٢٨٨) مما جعل السلطة تمارس ضغوطا على الشيخ المستاوي لطرد الشباب من الجمعية وبالفعل تم لها ذلك". (الهرماسي، ص، ٥٦)

^١ العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٤٣.

^٢ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٨٥.

^٣ ولد صالح كركر سنة ١٩٤٨ في المنستير كما تحصل على شهادة الدكتوراه في الإحصاء، وهو أحد الزعماء التاريخيين وأهم المؤسسين للحركة الإسلامية في تونس، يعتبر الأب التنظيمي وأحد المنظرين لها ورجل المؤسسة الأول، تولى رئاسة حركة الاتجاه الإسلامي من صيف ١٩٨٧ إلى أكتوبر ١٩٨٨، حكم عليه بالإعدام شنقا سنة ١٩٨٧ ثم حوكم غيابيا بتهمة محاولة قلب نظام الحكم سنة ١٩٩١، فاستقر في لندن ثم باريس أين حصل على اللجوء السياسي. "لطفي العمودوني، "شهداء النهضة، من أجل الهوية والحرية والكرامة في تونس"، (تونس: ميارة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٦)، ٥٢٧.

- اعتماد التقسيم الإداري واعتبار كل ولاية منطقة تنظيمية يشرف عليها " العامل " من خلال مكتب المكتب الذي يترأسه بنفسه، ويشرف على كل عضو من مكتب المنطقة على مجال من مجالات العمل ويكون له نظراء بذات المهمة في المكاتب الجهوية يرجعون له بالنظر، فمسؤول المجال الثقافي مثلا في مكتب المنطقة يشرف على مسؤولي المجال الثقافي في المكاتب الجهوية الذين يشكلون أعضاء للمكتب الثقافي على مستوى المنطقة وهكذا يترتب أمر كل مجال أو قطاع (تنظيمي / دعوي / سياسي ...)
- تعد الجامعة منطقة تنظيمية يشرف عليها مسئولا خاصا بها.
- تضم المنطقة (الولاية) مجموعة من الجهات يشرف عليها " مشرف الوكيل " الذي يعمل من خلال مكتب الجهة ويتعدد أعضائه بحسب مجالات العمل كما سبق بيانه في عمل مكتب المنطقة.
- تضم الجهة مجموعة من الأقسام يشرف على كل واحد منها "مشرف قسم "الذي يعمل من خلال مكتب القسم ويتعدد أعضائه بحسب مجالات العمل كما سبق بيانه في عمل مكاتب المنطقة والجهة.
- وكل قسم يتوزع إلى مراكز يشرف على كل واحد منها "مشرف مركز "له مكتب يضم أعضاء بحسب مجالات العمل والجهة ويتم استقطاب عناصر التنظيم ضمن الخلايا التنظيمية عبر الأنشطة العامة وفق معايير وشروط أخلاقية وتربوية وأمنية وحركية، وتتوزع الخلايا التنظيمية إلى ثلاث درجات:
- **الدائرة :** تضم ٥ إلى ٨ عناصر، وهي خلية اختباريه القص منها التحقق من توفر الشروط والالتزام عند أعضائها بحيث لا يشعرون في مرحلة أولى بوجود التنظيم السري، وتكون المناشط عامة في المسجد أو في المبينات التلمذية أو الطلالية ويعمل المشرف على تربية الأفراد على الالتزام بحضور الصلوات في أوقاتها ، وبقية المناشط العامة وحلقات الدروس، وتعيده على الدعوة العامة في سبيل الله ، وقد تدوم مرحلة الدائرة إلى السنة إلى سنتين ليتحول إلى المستوى التالي ويمكن أن تتحقق فيه الشروط والمعايير المطلوبة أن يبقى في مستوى الدائرة ، ويعتني عضو الدائرة بحفظ القرآن والحديث ودراسة بعض الكتب الإخوانية وليس عليه التزاما ماليا ، وفي حاله تبرعه بمال فإنه ينفق في مناشط المساجد الجماعية (الصيام الجماعي / الأنشطة الرياضية / ومكتبه المسجد / المسابقات).
- **الأسرة المفتوحة:** تضم الأسرة المفتوحة ٥ أعضاء، تكون لها لقاءات أسبوعية سرية ملتزمة تكون في بيوت أعضائها، كما يكون على كل فرد دفع التزام مالي بحسب إمكانياته يدفع ويصرف في مصالح التنظيم، ولا يطلع على هيكليّة التنظيم فضلا عن القيادة المركزية والجهوية، ويمكن له معرفة القيادة المحلية، وتدوم المدة داخل الأسرة المفتوحة ما بين سنة وسنتين ويتحول إلى مستوى

- الموالي حال استيعابه للكتب والمضامين التي تحوي مضامين تنظيمية على غرار ماذا يعني انتمائي للإسلام والمتساقطون على طريق الدعوة لفتحي يكن.
- الأسرة الملتزمة: لا تختلف عن الأسرة المفتوحة إلا في علو الدرجة التنظيمية وإطلاع أعضائها على هياكل الحركة القيادية الجهوية دون المركزية، ومساهماتهم في انتخاب المؤتمرين.^١
 - وفي مجمله يتكون هذا الهيكل التنفيذي من ثلاثة عناصر مهمة وهي كالآتي:
 - المكتب التنفيذي.
 - مجلس الشورى.
 - المجلس الجهوي (دوائر، أسر مفتوحة، أسرة ملتزمة)^٢.
- هذا الهيكل التنظيمي عقد أول مؤتمراته سنة ١٩٧٩ للنظر في جملة نقاط من بينها:
- التوافق على تسمية "الجماعة الإسلامية بتونس".
 - انعقاد المؤتمر بصفة دورية لا تتجاوز ثلاثة سنوات.
 - انتخاب رئيس الحركة.
 - انتخاب أعضاء مجلس الشورى والمكتب التنفيذي.
 - القانون الأساسي للجماعة الإسلامية
 - الهيكل التنظيمي (وهي لا يختلف عما تم إقراره في الجلسة التأسيسية لسنة ١٩٧٢).^٣
- يلاحظ من خلال ما تم عرضه من معلومات تاريخية حول الهيكل التنظيمية أن هذه الهيكلة هي هيكلية إخوانية بامتياز من ذلك:
- المناشط: فهي تتركز على الجانب التربوي الأخلاقي الدعوي والتزكية النفسية.
 - المصطلحات: الأسر المفتوحة والأسر الملتزمة ... وهو قاموس ينحصر على جماعة الإخوان دون غيرها من الحركات السياسية.
 - التركيبة: وهي التركيبية الهرمية التي تجعل من القاعدة على اتصال وثيق بالهرم، فضلا عن انغلاق التنظيم عن الخارج، وتهدف إلى حماية الهيكل التنظيمي من الاختراق الأمني.

^١ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٨٦، ٨٧ ص ٨٨.

^٢ العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٦٤.

^٣ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ١٠٤.

يمكن القول من خلال خصائص هذه التركيبة أن الجماعة في هذه الفترة صارت أقرب إلى الإخوان المسلمين مضمونا وشكلا، فكرا وتنظيما.

كما أن هذه الهيكلية التنظيمية ركزت للجماعة نواة صلبة، حققت من خلالها سرعة انتشار وأسست لها بنية قاعدية قوية في المجتمع . تبلور حجمها خاصة في مرحلة الصدام مع السلطة، حيث بلغ عدد مساجين الحركة وملاحقيها أكثر من ٣٠ ألفا، ورغم ذلك فشل النظام في استئصالها، وهو ما مكن لها من معاودة النشاط بعد الانقطاع.

المطلب الثاني: الهيكل التنظيمي بعد الانكشاف الأمني

١- الانكشاف الأمني:

كانت الحركة في بدايات الثمانيات مترددة في مسألة الاتجاه إلى العمل العلني بسبب معرفتها مسبقا موقف النظام منها، إلا أن وقوع حادثة الانكشاف الأمني في ٥ ديسمبر ١٩٨٠ عززت هذا الخيار وسرعت في الاتجاه إليه^١ كمحاولة لإنقاذ الموقف وتلافي الصدام مع السلطة، إذ تتلخص أحداث الواقعة في تظن رجل أمن إلى تحركات كل من صالح كركر وبن عيسى الدمني حين قدومهما في الصباح الباكر إلى مقر جريدة الحبيب بشارع قرطاج العاصمة، واشتبه هذا الأخير في أمرهما بسبب التوقيت المبكر خاصة أنه يوم عطلة، فتم إلقاء القبض عليهما وبحوزتهما وثائق هامة عن التنظيم تصل إلى ٢٠٠٠ صفحة^٢.

وبهذا أصبح هيكل الجماعة وبرامجها مكشوفة للسلطة، فضلا عن ذلك كانت البلاد تعيش حالة احتقان سياسي ومظاهرات احتجاجية بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية مما دفع النظام بتقديم وعود بالانفتاح السياسي لامتناس حالة الاحتقان، فشكلت هذه المعطيات عوامل دفعت بالحركة نحو الإعلان عن نفسها ولكن بتسمية جديدة، غلبت عليها في وسائل الإعلام ألا وهي "حركة الاتجاه الإسلامي".

^١ العمودي، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ١٠٩.

^٢ العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ١١٦.

٢- حركة الاتجاه الإسلامي

ظهرت تسمية الاتجاه الإسلامي سنة ١٩٧٧ بمناسبة انتخابات دار المعلمين^١. ففي صبيحة ٥ جوان ١٩٨١ انعقدت الهيئة التأسيسية لحركة الاتجاه الإسلامي (الاسم البديل للجماعة الإسلامية) بمنزل الشيخ صالح نيفر وذلك بحضور ثلاثين مندوبا، وضمت الهيئة التأسيسية ثلاث نساء. وفي اليوم الموالي أي ٦ جوان ١٩٨١، أعلنت الحركة عن نفسها وعن هيأتها التأسيسية، كما أعلنت راشد الغنوشي رئيسا للحركة والشيخ عبد الفتاح مورو أمينا لها.^٢

ومن خلال هذه الخطوة تنور جملة ملاحظات:

- إن الحركة أعلنت عن نفسها كحزب سياسي منذ بداية الثمانيات، وبذلك صنعت السبق في مجال الجماعات الإسلامية التي مازالت إلى وقت قريب ترفض التحزب، وتعتبره مخالف للشرعية الإسلامية.
- حضور العنصر النسائي في تركيبة الحركة وواجهتها، وإن كانت ترمي من وراء ذلك دفع ما يثار حولها في تلك الفترة من كونها حركة رجعية، تهدد مكاسب المرأة وتسعى إلى العودة بها إلى البيت، إلا أنها تعكس أيضا تأثرا بالتجربة السودانية في مسألة نشاط العنصر النسائي^٣.
- إن هذا الإعلان يكشف عن تركيبة تختلف عن التركيبة السرية للجماعة الإسلامية، وبذلك أصبحت هنا تقترب إلى الأحزاب القانونية، أكثر منها إلى الحركات السرية، وهو تطور نوعي يعكس سرعة استجابة الحركة للواقع.

٣- حركة النهضة

حينما أعلنت حركة الاتجاه الإسلامي عن نفسها، وقعت فيما خافت منه حيث اصطدمت مع النظام البورقيبي، كما تعرضت إلى الحظر وبصفة تدريجية، ففي البداية جوبه هذا الإعلان من قبل النظام بحملة من الاعتقالات والمحاكمات، وفي في الثامن عشر من يوليو ١٩٨١ ألقت السلطات القبض على قيادات الحركة وتم تقديمهم للمحاكمة في سبتمبر من نفس السنة بتهمة الانتماء إلى جمعية

^١ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥٥.

^٢ المدني، الإسلاميون التونسيون، ص ٣٢٥.

^٣ تم التعرض إليها بالتفصيل في البحث، تحديدا في الفصل ٢، ص ٥٢

غير مرخص لها والنيل من كرامة رئيس الجمهورية ونشر أنباء كاذبة، وتوزيع منشورات معادية. لكن في مرحلة لاحقة من المحاكمات تم الافراج عن الأمين العام سنة ١٩٨٣ والرئيس سنة ١٩٨٤.^١

وفي سنة ١٩٨٧ عرفت البلاد أعمال عنف تمثلت في استهداف منشآت ونزل سياحية وجهت إصبع الاتهام فيها لحركة النهضة، فأعيد اعتقال راشد الغنوشي بتهمة التورط في أعمال العنف وحكمت عليه محكمة أمن الدولة بالسجن المؤبد، وذلك بتهمة تهديد أمن الدولة والتواطؤ مع دولة أجنبية وهي إيران^٢، وبوصول بن علي إلى السلطة تم إصدار العفو الرئاسي العام سنة ١٩٨٨، تم بموجبه إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين.

و في مطلع تولى بن علي السلطة توعّد مختلف مكونات المجتمع المدني من أحزاب وجمعيات بالانفتاح السياسي والديمقراطية و التعددية وبالتالي السماح للأحزاب بالنشاط السياسي بما فيهم حركة الاتجاه الإسلامي التي سعت إلى التكيف مع الوضعية الجديدة بما في ذلك التوافق مع قانون الأحزاب الذي يحظر التسميات على أساس ديني فاخترت حركة الاتجاه الإسلامي، تسمية النهضة كبديل لها، غير أن مطلب التأشير جوبه بالرفض، كما أن الود المتبادل بين السلطة وحركة النهضة لم يستمر طويلا، فعلى إثر انتخابات ١٩٨٩ والتي دخلتها الحركة تحت قوائم مستقلة واستطاعت من خلالها تحقيق المرتبة الثانية بعد الحزب الحاكم، بدأت السلطة حملة ضد الحركة و حظرتها نهائيا سنة ١٩٩٠.^٣

- ٤- حزب حركة النهضة

بعد الثورة أعلنت الحركة عن نفسها عن بيان تأسسي جديد بتاريخ ٧ - ٢ - ٢٠١١، حافظت فيه على بعض نقاط البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي كتأكيد القضية الفلسطينية ومسألة الهوية، فضلا عن تضمينها ثمينا للثورة التونسية^٤، كما تقدمت الحركة بملف للداخلية بغية الحصول على

^١ راغب السرجاني، " قصة تونس من البداية إلى الثورة"، (القاهرة: دار الأعلام للنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ص ٦٠.

^٢ في الثمانينات عرفت تونس حركات احتجاج اجتماعية عرفت بثورة الخبز، أما دوليا فقد شهدت منطقة الشرق الأوسط وقوع الثورة الإيرانية وهو ما جعل النظام في الداخل يتخوف من استغلال الاتجاه الإسلامي معطى التوتر السياسي لاستتساخ التجربة الإيرانية.

^٣ عزمي بشارة، ثورة تونس المجيدة، بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ٢٠١٢)، ص ١٧٦.

^٤ البيان التأسيسي لحركة النهضة الصادر في ٨ - ٢ - ٢٠١١.

تأشيرة وفي مارس ٢٠١١ تمت الموافقة على الملف، وهي المرة الأولى التي يصبح فيها لحركة النهضة وجود قانوني.

وعلى إثر عقد مؤتمرها العاشر بتاريخ مارس ٢٠١٦ أعلنت حركة النهضة التونسية الفصل بين السياسي والدعوي، خطوة عرّفتها كونها اتجاه نحو التخصيص الوظيفي، إذا تحال الأنشطة الدعوية إلى الجمعيات والمجتمع المدني، فحين يقتصر أداء الحزب على الممارسة السياسية، عملاً بمقتضيات قانون الأحزاب.

هذا المسار الجديد للحركة يعكس رغبتها التحرر من ضغوطات العمل الدعوي، والتركيز على المسائل السياسية وهو خيار يمليه واقع معيشي متأزم تتولى فيه النهضة السلطة، وهو ما يفرض عليها إيجاد حلول عملية لمشاكل اجتماعية وسياسية أكثر منها ثقافية. كما تترجم هذه المساعي إرادة الحركة في التحول إلى حزب مدني بمؤسسات ومفاهيم حديثة، مع الاحتفاظ بالمرجعية الإسلامية.

وإن كان الهيكل التنظيمي للحركة قد شابه بل استنسخ تركيبة تنظيم الإخوان المسلمين^١ في فترة ما، إلا أنه في هذه المرحلة قد تمايز عن أغلب التجارب الإسلامية، وهو مسألة أكدها رئيسها راشد الغنوشي حينما أعلن بعد المؤتمر العاشر أنه لم يعد الحديث ممكناً عن الإسلام السياسي في تونس بعد الآن.^٢

^١ المقصود بها المرحلة السرية لحركة الاتجاه الإسلامي أي قبل الانكشاف الأمني

^٢ تم التطرق إلى المسألة بالتفصيل في قسم المسألة السياسية. ص ٥٤

الفصل الثاني

تطور البنية الفكرية للحركة الإسلامية

حينما انطلقت الحركة الإسلامية في تونس، كانت تضم عناصر فكرية مختلفة، وأدبيات وروافد متنوعة يغلب عليها الرافد المشرقي الذي هيمن عليها خاصة مع بدايات السبعينات حتى عدت نفسها في فترة متقدمة امتدادا لجماعة الإخوان المسلمين، لكن خوض حركة النهضة جملة مراجعات ومسارات انتهت بها بالابتعاد عن هذا الطرح، وتبني مسألة التوطن في البيئة التونسية فكرا واهتماما.

فعلى غرار البنية الهيكلية شهدت البنية الفكرية للحركة جملة تغييرات وتطورات، مستجيبة إلى فواعل دفع داخلية تعكس رغبة القيادة والأعضاء في تطوير الحركة وجعلها مسيرة لواقعها غير متخلفة عنه، وأخرى خارجية محلية وإقليمية، فرضتها أحداث ومستجدات، أنتجت نقلة نوعية للحركة على مستوى المنهج والمضامين وقضايا الاهتمام.

المبحث الأول: عوامل تطور البنية الفكرية

تنقسم عوامل التطور إلى ثلاثة محاور، منها ما كان منبثقا من داخل الحركة وتندرج تحتها (المراجعات - الانشقاقات - الصدام مع السلطة)، وأخرى من المحيط ونجد فيها (أحداث ٨٧ - نشأة التيار الديمقراطي)، وثالثة نابعة من الإقليم وتتضوي تحتها (التجربة السودانية - فكر مالك بن نبي - الثورة الإيرانية).

المطلب الأول: عوامل التطور الداخلية

أي تلك التي انبثقت من هيكل الحركة، لعل أهمها المراجعات أو التي مست الهيكل بشكل مباشر كالاقتالات والسجون فضلا عن المنفى.

أولاً: عامل المراجعات:

على غرار الحركة الإسلامية في السودان خاضت الحركة الإسلامية في تونس سلسلة مراجعات في الداخل والخارج، انتهت بها إلى تحويل مواقف وتأسيس مسائل كانت ترى فيها أنها تدخل في باب المحظورات أو المسائل التي لا تندرج في دائرة اهتمامها.

تعريف المراجعات: المراجعات هي عملية فكرية ترمي إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة وتقويمها أو إعادة تقييمها، ويقصد بها أيضا النقد الذاتي الذي ينصب على مراجعة عدد من الأساليب والوسائل والأدوات، التي اتضح من خلالها وقوع مبالغة في تحقيق مناط أو أهداف، أو التي تبين عدم مواءمتها للواقع ومتطلباته^١، الأمر الذي يخلق جوا من التصادم أو الفروق بين الواقع والأدبيات وهو ما يقتضي بالضرورة المراجعات.

لقد تلقى الشباب الإسلامي بتونس كتب الإخوان وأدبياتهم تحت وقع الانبهار بسيرتهم النضالية وصمودهم وإشراقة فكرهم على سائر الأقطار العربية والعالم الإسلامي^٢. من بين الكتب التي كانت متداولة بين شباب الصحوة الإسلامية كتابات سيد قطب^٣ خاصة كتابيه (معالم في الطريق) و(في ظلال القرآن).

وإن استطاعت هذه الأدبيات تقديم أجوبة عجزت المؤسسة الزيتونية تقديمها، إلا أن ضعف المكون المحلي لدى الحركة^٤، ولد شعورا بالعزلة لدى الجماعة نتيجة انكسار علاقة الفرد مع وسطه^٥، ومن

^١ بلال التليدي، "مراجعات الإسلاميين، دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي"، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٣)، ص ٢٣، ٢٤.

^٢ لطفي العمودي، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٤٧.

^٣ سيد قطب بن إبراهيم: (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) مفكر إسلامي مصري، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ١٩٣٤، وأوفد على إثرها إلى بعثة لدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. ولما عاد وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ - ٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم وهو شيخ جاوز السبعين، وله مؤلفات كثيرة من بينها: (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(في ظلال القرآن)، (التصوير الفني في القرآن) و (أشواك) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (معالم في الطريق). الأعلام للزركلي بتصرف، ج ٣، ص ١٤٨

^٤ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٩٦.

^٥ المرجع نفسه، ص ٧٨.

هنا بدأت تطرح مسألة النظر في أدبيات الإخوان والوفاد الفكري المشرقي باعتبارها رؤية واجتهاد وليس الإسلام ذاته.^١

فبعد فترة من التلمذة على الفكر المشرقي فتحت حركة النهضة الباب للتحديث، والنقد والمراجعات والتمحيص في مواقفها الفكرية، بل وأصبحت تبحث لها عن موطئ قدم في البيئة التونسية، سواء من خلال الربط بأدبيات المصلحين أو قضايا الاهتمام المحلية. وبذلك لم يدم ثقل وجه الجيل المؤسس للحركة الإسلامية نحو المشرق ومصلحيه، ونحو زعمائه ومفكره طويلا، بل اتجه في فترة مبكرة لكسر الحصار وفك العزلة والقطيعة التي صنعها بورقيبة بين جامع الزيتونة والحياة العصرية^٢.

كما اتجهت الحركة إلى "توطين" نفسها في المجتمع التونسي عبر البحث في أدبيات مشايخ الزيتونة^٣ كالشيخ محمد طاهر بن عاشور، ورجال الإصلاح التونسيين كخير الدين التونسي^٤ بعد أن حجبت عنها بأدبيات المشرق^٥. ولئن خلى البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي^٦ من الإشارة إلى هذه المكونات المحلية، أصبحت الحركة في فترة متقدمة ترى في نفسها امتدادا لحركة الإصلاح التونسية^٧، وإن لم تكن في بداياتها على وعي كامل بكل أبعادها^٨.

^١ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٧٩.

^٢ لطفي العمادوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥٠.

^٣ يستعمل الغنوشي هذه الكلمة في كتابه من تجربة الحركة الإسلامية.

^٤ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٤٣.

^٥ خير الدين (باشا) التونسي: (١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ = ١٨١٠ - ١٨٩٠ م) وزير، مؤرخ، من رجال الإصلاح الإسلامي. اتصل (الباي أحمد) وأثرى، وتعلم بعض اللغات وتقلد مناصب عالية آخرها الوزارة. وبسعيه أعلن دستور المملكة التونسية سنة ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م، له (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك). الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٣٢٧.

^٦ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٤٤.

^٧ بيان صادر عن الحركة بتاريخ ١٩٨١/٦/٦.

^٨ جاء في البيان التأسيسي لحركة النهضة الصادر بتاريخ ٧-٢-٢٠٠١: "حركة النهضة تعتبر نفسها امتدادا لمدرسة الإصلاح الشامل الذي عرفته بلادنا وجسدته مشاريع الإصلاح الدستوري والسياسي والاجتماعي والثقافي وحركة النضال ضد التبعية والاستعمار من خير الدين التونسي وبيرم الخامس وسالم بوحاجب وعبد العزيز الثعالبي ومحي الدين القليبي ومحمد الخضر حسين والشيخ محمد الطاهر ومحمد الفاضل بن عاشور وعبد العزيز جعيط وأحمد بن ميلاد وغيرهم من علماء تونس الأجلاء.

^٩ حركة النهضة بين الإخوان والتونس، ص ٥٨.

وقد أسفرت عملية التفاعل بين الفكر الإسلامي الوافد من المشرق وبين الواقع التونسي عن بلورة ما يمكن اعتباره على نحو ما صيغة تونسية للفكر الإسلامي والحركة الإسلامية، وتمخض عن ذلك قناعة في الوسط الإسلامي أن البلد في حاجة إلى حل تفاعلي يطور واقعه بتدرج^١ بدل من مصادمته بمعالجات ثورية.

فتغيرت ما كانت تمثل بالأمس قناعات وتبنّت بدلها مواقف أكثر تفاهما وأقل راديكالية، فبعد أن كانت ترفض أشياء لذاتها صارت تعرضها على ميزان المصلحة والمقاصد والموازانات، فنقوم بعملية فرز، فتميز ما يمكن أن تجد له مكانا في الإسلام^٢ وإن وجدت له ذلك اعتبرت نفسها أولى به عملا بالحديث الشريف "الحكمة ضالة المؤمن".

ومن ذلك لم تعد الحركة ترفض الغرب رفضا مطلقا وترسم العداء التام معه معتبرة إياه سبب مصائب الأمة، "فضروريات التعامل مع الغرب تقتضي الأخذ والعطاء"^٣. كما تغيرت أولويات العداء بعد أن كانت الاعتبارات العقائدية المهيمنة ترى في الشيوعيين العدو رقم واحد، باتت تعتقد أن الله لم يخلقها لتقاوم الشيوعية،^٤ بل تطور الأمر بأن وصل إلى الدعوة إلى التحالف مع القوى المدنية بما فيها الشيوعية ضد النظام القائم وقتها. فضلا على ذلك أصدرت الحركة بيانا في نهايات الثمانيات اعتبرت فيه مجلة الأحوال الشخصية^٥ "إطارا صالحا في عمومته لتنظيم شؤون الأسرة".^٦

يمكن القول إذن إن المراجعات التي خاضتها الحركة لأدبيات الإخوان والروافد المشرقية والتي تسببت في قطيعة أبستمولوجية وجودية لها في محيطها في فترة ما، مكنتها من فك العزلة عن محيطها، كما أوجدت الحركة روافد فكرية جديدة عززت من ديناميكيّتها وحركيتها.

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٥٠.

^٢ المرجع نفسه، ص ٤٩.

^٣ المرجع نفسه، ص ٤٠.

^٤ المرجع نفسه، ص ٥٣.

^٥ صدرت مجلة الأحوال الشخصية في ٨ أوت ١٩٥٦، وتعتبر مكسبا تونسيا في مجال تحرير المرأة وتعزيز حقوقها، إلا أن بعض فصولها كانت خلافية بين العلمانيين والإسلاميين كالفصل ١٨ المجرم لتعدد الزوجات والفصل ٧ الذي ينص على حق البالغة تزويج نفسها من غير ولي، فضلا عن تفسيرات الفصل ٨٨ الذي لم ينص صراحة على أن اختلاف الديانة من موانع الإرث.

^٦ ١٩٨٨ / ٧ / ٧.

ثانيا: الإسلاميون التقدميون^١

وإن كان الانشقاق في صفوف الجماعة الإسلامية قد أثار مسائل قبل أوانها، حيث لم تكن الحركة جاهزة آنذاك لخوض مسار المخاض، إلا أنها ضربت لها موعدا مع هذه المراجعات والمسائل المطروحة جراء هذا الانشقاق.^٢

فلقد ساعد الإسلاميون التقدميون على اعتماد رؤية أكثر واقعية وعلمية لفهم الظاهرة الإسلامية، ذلك أن الانفصال الذي حدث داخل الجماعة الإسلامية ولد ضغطا داخليا، أدى إلى تعديلات ومراجعات كثيرة في طرق التفكير وأساليب عرض المفاهيم^٣. حتى أن الحركة اليوم باتت تطرح نفس هواجس الإسلاميين التقدميين في جوانب فكرية كثيرة من ذلك مسألة الارتباط بجماعة الإخوان المسلمين^٤، فضلا على إيلاء العدالة الاجتماعية والاقتصادية الاهتمام البالغ^٥، كذلك تبني القراءة المقاصدية للنص، حيث أكدت وثيقة الرؤية الفكرية والمنهج الأصولي للحركة على هذه النقطة.^٦

ثالثا: تجربة الصدام مع النظام

حينما أعلنت الحركة عن نفسها سنة ١٩٨١، تعرضت إلى هجمة اعتقالات ومحاكمات من قبل النظام البروقبي وعلى اثر خروج قادة النهضة من السجون سنة ١٩٨٤^٧ وقع تطور في الخطاب السياسي وصار الإسلاميون يتعاملون مع الحادثة^٨ ولا يرون فيها منبع كل شر مهدد للهوية الإسلامية، وبتغير النظام لم تتغير سياسة القمع ضد الإسلاميين حيث استمرت مع نظام بن علي و إن تواعد بالانفتاح السياسي في البدايات إلا أنه كان مجرد تمويه ومغالطة، من ذلك أعلن مع

^١ تم التعرض إلى أسباب وسياقات الانشقاق في الفصل الأول المبحث الثاني. ص ٢٧.

^٢ حركة النهضة بين الإخوان والتونسة، ص ٢٨.

^٣ محمد القوماني، المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، ص ١٤.

^٤ ما يعبر عنه بتونسة الحركة وتوطيئها في بيئتها التونسية.

^٥ تعتبر حركة "الإسلاميون التقدميون" ضمن منظورها " التحرر السياسي والاجتماعي كأصل من أصول المشروع ومقصد من مقاصد التشريع. المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، ص ١٢

^٦ الرؤية الفكرية والمنهج الأصولي، (حركة النهضة: سلسلة قطوف النهضة)، ص ٤٤.

^٧ في سنة ١٩٨٤ غادرت قيادات الحركة السجن على إثر الانكشاف الأول الذي حصل سنة ١٩٨٦ والذي كشف هيكل الحركة للأجهزة الأمنية.

^٨ يونس الحاج، النهضة وبن علي الطاغية، ص ١٣.

بدايات التسعينات حركة النهضة حركة محظورة، فتعرض أعضاء الجماعة إلى النفي و الاعتقال والمحاكمات حتى عبرت عن تلك الفترة بسنوات المحنة.

وفي المنفى سعت الحركة إلى تطوير أدبياتها ومراجعة أطروحاتها، فكتب صالح كركر في مشاكل الحركة الإسلامية، كما أصل الأستاذ راشد الغنوشي لمسائل كالتحالف العلماني والإسلامي "حلف الفضول". إن المتتبع لبيانات الحركة في المهجر ليلحظ نقلة نوعية في مستوى المضامين، من ذلك أصدرت الحركة أصدرت سنة ٢٠١٠ سلسلة كتيبات ضمنت فيها رؤاها وأفكارها، كما فيها نفسها امتدادا موضوعيا للفكر الإصلاحى التونسى.^١

المطلب الثاني: عوامل التطور النابعة من المحيط

وهي العوامل الخارجية التي أسهمت في هذا المنح التطوري للحركة وتدخل فيها الأحداث السياسية المهمة التي شهدتها تونس كأحداث الخبز وظهور التيار الديمقراطي فضلا عن انخراط الحركة في النشاط الجامعي.

أولا: أحداث الخبز ١٩٧٨

شهدت تونس سنة ١٩٧٨ ما عرفت بأحداث الخبز تمثلت في صدامات بين متظاهرين والأجهزة الأمنية بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية نتيجة التوجه إلى سياسية الانفتاح على السوق، فبقدر ما كشفت هذه الأحداث هشاشة النظام البورقيبي وقابلية تغييره عبر ثورة شعبية^٢، كشف أيضا غياب الجماعة الإسلامية عن الأحداث حتى أن الأمر شكل لديها صدمة^٣، فعلى إثرها، أصيب التيار الإسلامي بما يمكن تسميته العقدة^٤ وبدأ يعي أنه هناك وجه آخر للصراع داخل المجتمع بخلاف الصراع العقائدي بين الشيوعية والإسلام صراع آخر لا يقل أهمية^٥.

^١ حركة النهضة (٢٠١٠) "الأرضية الفكرية ونظرية العمل وملاحم المشروع"، (حركة النهضة: سلسلة قطوف النهضة ٢٠١٠)، ص ٩.

^٢ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥٢.

^٣ الغنوشي، من تجربة حركة النهضة، ص ٥٥.

^٤ المرجع السابق، ص ٥٣.

^٥ المرجع نفسه، ص ٥٣.

وبدأت الحركة بعد تلك الأحداث تعي خطورة تهميشها الصراع الاجتماعي، فقد جاء في تعليق لمجلة المعرفة الناطقة باسم الجماعة "لمسنا بوضوح تام غياب الإسلام على الساحة، ولو كان موجودا لتغيرت معطيات كثيرة.^١ كما توجست الحركة من مسألة وصول الشيوعيين بعيد هذه الأحداث إلى السلطة التي بينت هذه الأحداث أنها قابلة للتغيير، كما كشفت هذه الأحداث والمجريات أيضا " إن الواقع هو الذي يفرض علينا فكرنا^٢.

ثانيا: النشاط الجامعي

حينما دخل الفصيل الإسلامي إلى الجامعات التونسية كانت النقابة الطلابية محتكرة من قبل اليسار الذي لم يكن يسمح للشباب الإسلامي مشاركته النشاط داخل منظمته، مما اضطره إلى تأسيس نقابة موازية^٣، فلئن بدأ الطلبة الإسلاميون نشاطهم بنسق بطيء إلا أنهم سرعان ما تطوروا، فلم تأتي بداية الثمانيات حتى كان الفصيل الإسلامي بتواجهه قوة تنظيميه، وبغناصر منضبطة، مما ساعده على فرض نفسه كتيار رئيسي في الحركة الطلابية^٤.

كان لهذا الاحتكاك والنقاشات داخل الجامعات دور مهم في مستوى تطوير الجماعة نفسها، فضلا عن تبني خطاب حدائي^٥ واستيعاب قضايا لم تكن لتطرحها من تلقاء نفسها، بل أملت عليها ووجدت نفسها مطالبة للخوض فيها بحكم الصدام والحوار مع الفصيل اليساري في الجامعات.

وإن كانت في بداياتها تفتقد إلى التكوين الفكري الفلسفي في هذه المسألة، أدى التفاعل مع أنشطة الطلبة إلى استيعاب وتبني مفاهيم ومقولات كالصراع الاجتماعي والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق العمال^٦. وبذلك فإن النزاعات التي خاضتها الحركة داخل الجامعات مع الشيوعيين أعطت دفعا للتيار العقلاني داخل الحركة^٧.

^١ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٨٨.

^٢ شاهد على العصر (عبد الفتاح مورو)، الحلقة ٤، بثت بتاريخ، ٢٠١٥/٥/١٩، رابط الحلقة:

<https://youtu.be/EvfKPsJTrtE>

^٣ المقصود به الاتحاد العام لطلبة تونس في تقابل مع الاتحاد العام التونسي للطلبة وكان هذا الأخير منصة الطلبة الإسلاميين في نشاط داخل الجامعة.

^٤ عبد اللطيف الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ٨٩.

^٥ حميدة نيفر، من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، ص ٢٣.

^٦ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥١.

^٧ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٥٣.

ثالثا: نشأة التيار الديمقراطي

يذكر راشد الغنوشي في كتابه من تجربة الحركة الإسلامية أن من بين عوامل تطور البنية الفكرية للحركة الإسلامية في تونس، تيار الفكر الليبرالي الديمقراطي الممثل في شخص زعيمه "أحمد المستيري"^١.

إن حركة الفكر الليبرالي الديمقراطي عن حصيلة انشقاق عن الحزب الحاكم في منتصف السبعينات بسبب انغلاق الأفق السياسي في البلد، خاصة بعد مؤتمر سوسة الذي تمت فيه مبايعة بورقيبة رئيسا مدى الحياة، فطالب الجناح المنشق بالعدالة الاجتماعية والتعددية السياسية، كما تواصل شباب حركة الاتجاه الإسلامي وبقية القوى المدنية بهم كقوى معارضة للنظام^٢، يقول الغنوشي في هذا الصدد: "أن للحوارات التي كانت تجرى مع أحمد المستيري دور هام في توضيح الوعي بالدفع نحو خيار الديمقراطي داخل الحركة"^٣.

^١ ولد أحمد المستيري يوم 2 يوليو 1925 بتونس العاصمة، وهو محام وسياسي أصبح عضوا داخل الجامعة التونسية للحزب الحر الدستوري الجديد عام 1950، وفي شهر ١ من سنة 1952 انضم إلى الديوان السياسي السري للحزب الذي أصبح يقوده فرحات حشاد والصادق المقدم. ودافع كمحام عن المناضلين الوطنيين أمام المحاكم المدنية والعسكرية الفرنسية، في جوان 1978، أسس أحمد المستيري حركة الديمقراطيين الاشتراكيين وكان قد تولى أمانتها العامة " شبكة تونس الإخبارية: بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠١٣:

:<https://youtu.be/WVI54SziYs>

^٢ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٥٣.

^٣ المرجع نفسه، ص ٥٣.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٠٢.

المطلب الثالث: عوامل التطور النابعة من الإقليم

إن كانت الحركة الإسلامية في تونس في بداياتها قد نزعت نحو المشرق تنهل منه أدبياتها باعتباره رافدا فكريا أساسيا، إلا أن انفتاحها على التجارب أخرى في مراحل متقدمة أثرى مخزونها الفكري وطور من بنيتها الفكرية فضلا عن مسارها العام.

أولا: التجربة السوداني

في أواخر السبعينات زار وفد من الجماعة الإسلامية التونسية السودان، فتأثر بدور المرأة المركزي في الحركة الإسلامية السودانية، حيث امتاز هذا النموذج أي السوداني بأهمية مشاركة المرأة في المجهود الإصلاحي والدعوي، كذلك اتسمت علاقتها بالرجال بالعفوية، فضلا عن ذلك كان وجودها مكثف في مناشط مشتركة عدة، سواء في الجامعات أو في الندوات والرحلات^١.

فكانت لهذه التجربة دور هام في إعادة صياغة الموقف من المرأة وموقعها في الحركة الإسلامية، بعد إن كان تصورهما قاصر على الأدبيات المشرقية، إذ قدمت الحالة الإسلامية السودانية صورة أكثر إقناعا في هذه المسألة، خاصة أن الحركة في تونس، كانت تهاجم وتجاهل في هذه النقطة من قبل خصومها العلمانيين وفي بيئة أعلنت أن تحرير المرأة هو حيز زاوية لمشروع الحداثة البورقوبي.

بالإضافة إلى ذلك تصنف التجربة السودانية من الناحية الفكرية على أنها رائدة التجارب الإسلامية، إذ يعتبر حسن الترابي^٢ رحمه الله، صاحب المراجعات الجريئة، وأول من دعا إلى فك الارتباط عن جماعة الإخوان المسلمين في مصر، فضلا عن تحديث الحركة الإسلامية على مستوى المفاهيم والمنهج^٣، وقد كان لأفكاره بالغ التأثير على الغنوشي، الذي يقول في هذا المعرض متحدثا عن ذلك

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٦٣.

^٢ ولد حسن الترابي في أول فبراير/شباط ١٩٣٢ بكسلا بالشمال الشرقي السوداني قرب الحدود الإريترية، درس الحقوق في جامعة الخرطوم ثم حصل على الإجازة في جامعة أكسفورد البريطانية عام ١٩٥٧ وعلى دكتوراه الدولة بجامعة السوربون بباريس في ٦ يوليو/تموز ١٩٦٤. يتقن الترابي أربع لغات فبالإضافة إلى اللغة العربية يتكلم الفرنسية والإنجليزية والألمانية بطلاقة. للدكتور الترابي العديد من الكتب المطبوعة ومقالات كثيرة ومحاضرات شتى ومن بين كتبه: "قضايا الوحدة والحرية ١٩٨٠، تجديد أصول الفقه ١٩٨١، تجديد الفكر الإسلامي ١٩٨٢". موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٣١:

<http://cutt.us/8jVo8>

^٣ يشترك كل من راشد الغنوشي وحسن الترابي مؤلفا تحت عنوان الحركة الإسلامية والتحديث، وهو دليل قاطع على تأثر شخص الغنوشي بفكر الترابي وهو الأمر الذي تأكد في مناسبات عدة.

التأثير" لقد خفف (يقصد الترابي) من ثقل وكثافة النزوعات المثالية المجنحة، التي وسم بها فكر سيد قطب أطوار النشأة.^١

ثانيا: مالك بن نبي

على إثر دعوة تلقاها شباب الجماعة الإسلامية لحضور ملتقى الفكر الإسلامي^٢ في الجزائر، مكنت لهم فرصة التعرف على شخصية فكرية مرموقة كان لها عميق الأثر على نظريات الجماعة، ونظرتها للحضارة، ألا وهو المفكر الجزائري مالك بن نبي.^٣

إذ تلقى الوفد المشار فكر مالك بن نبي بشيء من التلهف والإعجاب، بل حفزه من حيث لا يدري إلى استعادة الدور الحضاري والتاريخي والثقافي لتونس الزيتونة، وأعطاهم دفعا معنويا قويا، خاصة حينما أجاب عن تساؤل أحدهم بقوله: "إن المراكز الحضارية الكبرى تبنى في قرون لا يمكن هدمها بين يوم وليلة وأن ما تعيشه تونس الزيتونة خمول ليس إلا عارضا وإلى زوال".^٤ وبذلك نوه ابن نبي بقيمة الزيتونة والتي تجاوزتها الحركة في فترة مبكرة، يقول عبد الفتاح مورو في هذه السياق: "مالك بن نبي هو اكتشاف بالنسبة إلينا، فهو هو فكر ابن خلدون معدل على القرن العشرين".^٥

إن الإضافة التي حققها فكر مالك بن نبي في أدبيات الحركة الإسلامية التونسية تتمثل في تنبيهها إلى البعد التحليلي للظاهرة الاجتماعية والسياسية والتاريخية، فأصبحت تتعامل مع واقع المسلمين سواء منه القائم أو التاريخي على ضوء مفهوم الحضارة والتخلف والعدل والظلم والديمقراطية

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية. ص ١٥٠

^٢ كانت ملتقيات الفكر الإسلامي تتعقد مرة أو أكثر كل سنة في الجزائر خلال السبعينات، وكانت مجموعتنا - التي تضم الشيخ عبد الفتاح مورو والفاضل البلدي وصلح بين عبد الله وحמידة نيفر وراشد الغنوشي - تذهب كل سنة في الأعوام ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢ لحضور تلك الملتقيات حيث نلتقي بمالك بن نبي، الذي كان يخصنا باللقاء والمحاضرة والحوار، والتوجيه. من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٦٥.

^٣ مالك بن نبي: مفكر إسلامي جزائري (١٩٠٥ - ١٩٧٣ م). ولد في مدينة قسنطينة الجزائرية. ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط. وتخرج مهندسا ميكانيكا في معهد الهندسة العالي بباريس. وزار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو ٣٠ كتابا جلها مطبوع. ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة. وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري (١٩٦٤) وتوفي ببلده. الزركلي، "الأعلام"، ج ٥، ص ٢٦٦.

^٤ العمودوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٤٧.

^٥ الجزء ٣ من برنامج شاهد على العصر مع عبد الفتاح مورو على قناة الجزيرة:

والديكتاتورية، وليس فقط على ضوء ثنائية الكفر والإيمان^١. فلم تعد تتمثل المجتمع على أساس المفاهيم التي أصل لها سيد قطب في موضوع جاهلية المجتمع.

ثالثا: الثورة الإيرانية

جاءت الثورة الإيرانية لتعطي الحركة بعض المقولات الإسلامية التي مكنتها من أسلمة بعض المفاهيم الاجتماعية اليسارية واستيعاب الصراع الاجتماعي في إطار إسلامي (الصراع بين المستضعفين والمستكبرين)^٢. فالأدبيات التي كانت مطروحة في تلك الفترة لم تمكنها من أن تجد فيها ما يمكن أن يشفي الغليل ويقوم نظرية اقتصادية اجتماعية في عالمها بسياقاته ومجرياته المتسارعة آنذاك^٣.

كما أعطت الثورة الإسلامية في إيران نفسا جذريا للخطاب الإسلامي في تناوله للقضايا الاجتماعية، وأمدته بمفاهيم جديدة ودفعت به إلى تبني مقوله أن الصراع الذي يشق العالم اليوم هو بين الشعوب المستضعفة وشراذم المستكبرين^٤، وبذلك ساهمت الثورة في تطوير فكر الحركة الاجتماعي والسياسي^٥، كما يعزى إلى الثورة الإيرانية مسألة نقل الحركات الإسلامية من موقف المعارضة إلى موقف المطالبة بالسلطة، وأصبحت تطرح الثورة من ضمن بدائل التغييرية عند تعذر الطرق العادية للوصول إلى السلطة.

لقد برز التحول التكاملي في صلب الحركة بفضل مراجعات داخلية وضغوط الخارج واكراهات السياقات وتحدياتها، فضلا عن رغبة المؤسسين الانسجام والمواءمة مع المتغيرات^٦. حتى لا يقعوا في عزلة عنه، كما أصبحت الحركة تولي أهمية لعامل الزمن "قلايد للحركة أن تطور نفسها باستمرار"^٧، كما أصبحت لا ترى إشكالية في القطرية والتحلي بالخصوصية المحلية^٨، وإن تتسم أيضا بالواقعية في النظرة إلى المسائل الإشكالية التي تتطلب منها إجابة عملية، كما باتت ترى في

^١ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامي، ص ٦٧.

^٢ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ٥.

^٣ الحلقة من برنامج ٤ شاهد على العصر مع عبد الفتاح مورو:

<https://youtu.be/EvfKPsJTtE>

^٤ الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، ص ١٣٢

^٥ الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية، ص ١٥٠.

^٦ الغنوشي، من الفكر الإسلامي في تونس، (الكويت: دار القلم، ط٢)، ص ٣٣.

^٧ راشد الغنوشي وحسن الترابي، "الحركة الإسلامية والتحديث"، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤)، ص ٤٩.

^٨ المرجع السابق، ص ٣٩.

العقلية المثالية والأخلاقية التي ينظر الإسلاميون من خلالها إلى واقعهم إحدى الأسباب الرئيسية المسؤولة عن عجزهم عن فهم و استيعاب واقعهم المتحرك^١، و الواقعية تعني أيضا بحسب الغنوشي أن يحلل المسلم محيطه ليقدّم إجابات لإشكالاته لا أن يقع أسيرا له^٢.



^١ الغنوشي، من الفكر الإسلامي في تونس، ص ٩.

^٢ المرجع نفسه، ص ٩٧.

المبحث الثاني القضايا الاجتماعية

لم تولي حركة النهضة في بداياتها الاهتمام بالمسألة الاجتماعية بسبب طبيعة النشأة والأدبيات التي كانت مهيمنة عليها في تلك الحقبة، إلا أنها شهدت جملة سياقات ومراجعات جعلتها تلتفت إلى المعطى الاجتماعي سواء بالبحث في الحلول لوضعيته الإشكالية المعقدة أو بالتأصيل لمسائله على ضوء المرجعية الإسلامية، فبعد عشرية من النشاط استطاعت النهضة تقديم الإسلام عمليا ونظريا كإطار لنضالات الجماهير الثقافية والاجتماعية والسياسية^١.

المطلب الأول: الحقوق الاجتماعية - الاقتصادية

في معرض بيانه لمشكلات الحركات الإسلامية تطرق الغنوشي إلى سبب عدم تأثير الإسلاميين في هذا القطاع، وأرجعه إلى نقص في الوعي بالمشكلات ذات الطبيعة الاجتماعية السياسية^٢. وهو ما حدا به إلى تأصيلها في المرجعية الإسلامية من ذلك يرى أن الحقوق الاجتماعية والاقتصادية تندرج ضمن الحقوق العامة للإنسان في الإسلام بما هو كائن مستخلف، وضمن عهد الاستخلاف تنتزل حقوقه وواجباته^٣، كما اعتبر الاهتمام بالمسألة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المسلم هو بمثابة التجسيد لمبدأ شمولية الإسلام^٤.

أولاً: التصور الإسلامي للعمل النقابي

لم تفكر حركة النهضة في بداياتها في العمل النقابي الاجتماعي الذي كان في تلك الفترة حكرا على اليسار، إذ كان مبلغ سعيها المجال الدعوي والتثقيفي لكونها جاءت للإجابة عن سؤال الهوية لا

^١ الغنوشي، من الفكر الإسلامي في تونس، ص ١٢٢.

^٢ المرجع السابق، ص ٩٠.

^٣ الغنوشي راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١١)، ص ٤٣.

^٤ الغنوشي، الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٢٠.

غير، لكن محاولات مجاراتها لواقع مسكون بقضايا معيشية واجتماعية يصل بها الأمر في أكثر من مرة إلى الصدام مع السلطة^١، جعلها تتجه نحو العمل الاجتماعي والدفاع عن قضايا العمال.

من ذلك على سبيل المثال ثمن راشد الغنوشي المنظمة النقابية التونسية^٢ واعتبرها من أهم ما أفصح عنه القطر التونسي الذي عبر عن همومه وتطلعاته في شكل منظمة شغيلة، لكنه اعتبر أن الأزمة الثقافية التي يعيشها الاتحاد العام التونسي للشغل ويقصد الهوية الثقافية للمنظمة، هي من عموم البلوى التي يعانيها المجتمع التونسي أي هيمنة التغريب.^٣

كما تظن الغنوشي مبكرا إلى الفراغ الذي أحدثه انصراف الإسلاميين عن العمل النقابي، والذي كانت أهم نتائجه طغيان الاتجاه اليساري على مؤسساتها وبالتالي تحديد توجهاتها، ودعا الإسلاميين للانخراط المكثف في المنظمات العمالية إذ أن ذلك من شأنه أن يدفع بالحركة نحو الأمام، ونحو التحرر من الجدليات المثالية للمتقنين وخيالاتهم الفوقية وصراعاتهم الهامشية، ويجعل الحركة تلتحم أكثر بواقع الجماهير وهمومهم حسب رأيه، فيتحول الإسلام من دين للفلاسفة إلى غذاء ودواء وسلاح للمستضعفين^٤.

توجه يعكس في حقيقة الأمر استشعارا مبكرا بأهمية الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي أصبح أشد المعارضين للإسلاميين عند توليهم الحكم، كما كان اليسار أكبر المستفريدين أو الغانمين من صراع بن علي مع الإسلاميين، حيث احتكرت المنظمة من قبلهم عند فراغ الساحة من الإسلاميين وغيابهم^٥.

^١ المقصود بها أحداث قفصه وأحداث الخبز التي تمت الإشارة إليها في المبحث الأول من هذا الفصل، ص ٤٠.
^٢ تأسس الاتحاد العام التونسي للشغل سنة ١٩٤٦، وهو من أشهر المنظمات الشغيلة وأعرقها في العالم العربي والقطر الإفريقي، كما استطاعت المنظمة تحقيق مكاسب كبيرة ضد المحتل الفرنسي وهو ما منحها مكانة مركزية في المشهد الوطني التونسي، تعرضت النقابة لمحاولات اختراق من قبل نظام بن علي خاصة بعيد انتخابات ٢٠١١، وعند اندلاع الثورة التونسية كان الاتحاد من المؤيدين والداعمين لها، فتحي ليسيير، معجم الثورة التونسية، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥.

^٣ الغنوشي، من الفكر الإسلامي في تونس، ص ١١٧.

^٤ الغنوشي، المرجع نفسه، ص ١٢٦.

^٥ عادل الثبتي، "تونس ثورة تبحث عن تحقيق أهدافها"، مجلة رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - ستا - عدد ربيع ٢٠١٤)، ص ٢٨.

ثانيا: الحق في العمل:

في مستهل حديثه عن الحقوق الاجتماعية تحديدا حق العمل يصدر الغنوشي المبحث بمقولة للعقاد جاء فيها: "الإسلام يبطل حق الاستغلال ويقدس حق العمل، ولا تحتاج الديمقراطية إلى أكثر من هاتين القاعدتين لكي تستقر عليها أحسن استقرار" ^١ بالفعل أثبتت أحداث ثورات الربيع العربي أن الملفات الاجتماعية يمكن أن تكون وقود ثورات، ويمكنها أيضا أن تفشل مسارات ديمقراطية، خاصة في التجارب الهشة.

وبعد بيان الغنوشي أهمية العمل ومنزلته في الإسلام بوصفه من طرق الكسب المباحة، والتي حث الشارع عليها ليكف الفرد حاجاته ويحفظ كرامته، تطرق إلى مسألة في غاية الأهمية ألا وهي واجب الدولة في توفير هذا الحق، فالدولة الإسلامية بزعمه ليست مجرد حارس للحدود أو شرطي للدفاع عن مصالح فئوية إنما وظيفتها إقامة العدل ومن أبسط معانيه حد الكفاف بتحقيق الضروريات من أكل وغذاء "وتوفير للأعمال" ^٢.

كما أن الدولة مطالبة بتوفير الظروف الملائمة للعمل، بدأ برفع مكانته بين الناس عن طريق الجهد التربوي والإعلامي، مروراً بتوفير مستلزماته ^٣ من أدوات ومواد. ^٤ كما تطرق إلى حقوق العامل التي من بينها، أن يتولى عمالا مكافئا له متماشيا مع قدراته ^٥.

ثالثا: الحق في التملك

تعد الملكية من أقدم الحقوق التي عرفت البشرية، كما أقرتها التشريعات والقوانين الحديثة. وإن اختلفت الفلسفات والرؤى الاقتصادية في تعريفها وتمثل مفاهيمها وحدودها، إلا أنه يوجد شبه إجماع عليها. لم يشذ الإسلام عن ذلك، فأباح للفرد الامتلاك وفق شروط محددة، تتلخص في تأدية الغرض الاجتماعي للملكية أي الانتفاع بها، وقد اعتبر الغنوشي هذا التصرف تحقيق لمعنى الاستخلاف في الأرض ^٦، إلى درجة أنه يعتقد على الدولة الإسلامية أن توجب استغلال الأرض من قبل أصحابها،

^١ الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٦٠.

^٢ المرجع نفسه، ص ٦١.

^٣ ما يعرف في علم الاقتصاد بالبنية التحتية.

^٤ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٦٢.

^٥ المرجع السابق، ص ٦٣.

^٦ الغنوشي، الحريات العامة للدولة الإسلامية، ص ٥٧.

وأن خالفوا ذلك فعليهم تسليمها لغيرهم. فهو إقرار بالوظيفة الاجتماعية للملكية، وله صيغ مشابه في القانون التونسي^١.

رابعاً: الحق في الضمان الاجتماعي

كان الإسلام متقدماً على بقية القوانين والدساتير في إقرار هذا الحق^٢، فلقد أقام مجتمعه على أساس الأخوة والتكافل والمساواة والعدالة، وما يقتضيه ذلك من قيم لتعاون والإيثار^٣. كما تعتبر مسألة إحياء فريضة الزكاة هي السبيل الأمثل لإقامة هذا الحق بما هي حق للمساكين في أموال الأغنياء^٤، كما يتوجب على الدولة رعاية الأطفال القصر الذين لا أولياء لهم^٥. إن المسؤولية التي تقوم عليها المجتمعات الإسلامية "كلكم راع"، تجعل من واجب الدولة كفالة الفئة المهمشة المحتاجة من المسلمين والقيام على حاجاتهم بمعية من بيت مال المسلمين، وكان ذلك دأب الخلفاء الراشدين.

خامساً: العدالة الاجتماعية

إن السعي نحو تحقيق العدالة الاجتماعية لهو صراع يندرج ضمن حرب التحرر ضد الاحتلال بكل أشكاله والتحرر من الأنظمة الاستبدادية حسب الغنوشي، لذا توجب على الإسلاميين خوض هذا الصراع والانخراط فيه عبر الدعوة إلى حاجات الناس عبر الإسلام والالتحام بهمومهم وقضاياهم^٦. فالنضال الاجتماعي للمسلم يرتقي إلى مرتبة الجهاد في سبيل الله، كما أن النضال لا يحقق غايته إلا بتحقيق إرادة الله في انتزاع قياده المجتمع من الملك الطاغي، فيتسلمها المستضعفون من المؤمنون مصداقاً لقوله تعالى { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }^٧ وبذلك تكون معركة المسلم في القطاع العمالي في سبيل السعي إلى تحقيق قيم العدالة الاجتماعية، جزء من جهاده العقائدي فيه تتحقق إرادة الله في تطهير نفسه والمجتمع من ترف قرين الظلم و الطغيان^٨.

^١ جاء بمجلة الحقوق العينية عدة فصول تؤكد الوظيفة الاجتماعية للملكية كالفصل ٤٥ للمجلة والذي يجعل التقادم من أسباب اكتساب الملكية.

^٢ " لقد اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب دار السوق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزيت وما يحتاج إليه المحتاج "، الحريات العامة للدولة الإسلامية، ص ٧١.

^٣ الحريات العامة للدولة الإسلامية، ص ٦.

^٤ المرجع نفسه، ص ٦٨.

^٥ المرجع نفسه، ص ٧١.

^٦ الغنوشي والترابي، الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٣٦.

^٧ سورة القصص، الآية ٥.

^٨ الغنوشي، من الفكر الإسلامي في تونس، ص ١١٩.

المطلب الثاني: المكونات الاجتماعية

أولاً: الموقف من المرأة

أوفى راشد الغنوشي منزلة مهمة للمرأة في كتاباته وتصريحاته للإعلاميين وأفرد لقضاياها كتاباً عنون ب (المرأة بين القرآن وواقع المسلمين)^١. وإن كانت الحركة في بداياتها وبحكم تأثرها بالوافتد المشرقي فضلاً عن اتخاذ النظام البورقيبي قضية المرأة متراساً للدفاع عن توجهه الجديد في التغريب، اتسم موقف الجماعة الإسلامية من هذه النقطة بالتشدد والتضييق^٢.

فمسألة المرأة كانت متمركزة بين طرحين متناقضين متباعدين واحد يرى فيها أول خطوة نحو مشروع التحديث الذي كان يلخصه في التغريب وإسقاط أنماط عيش مستوردة، وطرف نقيض يعتبر في كثير من جوانبه ردة فعل عن الأول وبالتالي قلب الإسقاط بإسقاط معاكس، فشط عن الجادة، فباسم انتشار المجتمع من السقوط الأخلاقي عطلت المرأة واقتصر مجال فاعليتها على البيت.

لكن بعد مراجعة لهذه المواقف خاصة عند الاحتكاك بالتجربة السودانية تغير الموقف من المرأة وصار ينظرها إليها على أنها إنسان قبل أن تكون أنثى، إنسان مكرم في ذاته بغض النظر عن جنسه "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"^٣.

كما أنه لا يوجد في الإسلام ما يبرر إقصاء نصف المجتمع الإسلامي من دائرة المشاركة والفعل في الشؤون العامة، بل أن ذلك من الظلم للإسلام ولأتمته قبل أن يكون ظلماً للمرأة ذاتها، فعلى قدر ما تنمو مشاركة المرأة في الحياة العامة على قدر ما يزداد وعيها بالعالم وقدرتها على التأثير فيه^٤، ولا يرى الغنوشي مانعاً من تولي المرأة الرئاسة مستشهداً في هذا الباب بموقف القرضاوي^٥ الذي يقول فيه أنه لم يعد من الممكن اليوم ومع تحول المسلمين إلى دويلات وأقطار الحديث عن ولاية

^١ الحناشي، الإسلام السياسي في تونس، ص ١٠٥.

^٢ العمدوني، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ٥٣.

^٣ سورة الإسراء، الآية ٧٠.

^٤ راشد الغنوشي، "الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٥)، ص ١٤٣.

^٥ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ١٥٠.

^٦ دور المرأة في الحياة، برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤.

مطلقة عامة، وهي التي خصها الحديث بالمنع^١، فمنصب الرئاسة بهذه المعطيات تحول إلى ولاية خاصة على مجموعة معينة^٢.

كما حاول الغنوشي تصويب الطرح في قضية المرأة بعد أن تنازعه قطبان متناقضان بتبني طرح اجتماعي فلسفي لمسار قضيتها يتلخص في أن موضوع المرأة أبعد من أن كونه مجرد قضية تبرج واختلاط، فهي قضية اغتراب واستعباد، قضية إنسان سلبه الانحطاط المغلف بالدين إنسانيته وحقه في تقرير مصيره وحوله إلى شيء ومتاع. فما أحوج المرأة إلى حركة تحرير تعيدها إلى ذاتها، إلى فطرتها كأمينة على تراث الإنسانية ورفيقة جهاد للرجل^٣.

ثانيا: الأسرة

هي نواة المجتمع وأساسه، كما تحظى بأهمية بالغة بسبب ما تمثله من إطار شرعي للمحافظة على الجنس البشري، فضلا عن الحفاظ على توازن الشخصية وتطورها^٤، لذا اعتبر الزواج المؤسسة الطبيعية لقيام هذه الخلية، كما حددت الشريعة هذه المؤسسة بمنظومة من الحقوق والواجبات لكل طرف فيها على أساس المساواة المتكاملة^٥، ويعرف الزواج على أنه عقد مكارمه^٦.

كما على الدولة واجب القيام على الأسرة والنظر في احتياجاتها، اقتداء بفعل الصحابي عمر بن الخطاب، الذي قام بتخصيص النفقة على الرضع، وإيجابها لأمهاتهم^٧. وفي بنود بيانها التأسيسي جعلت حركة النهضة مسألة الأسرة من بين أولوياتها حيث جاء فيه "تعمل حركتنا على حفظ كيان الأسرة عبر تقديس الرابطة الزوجية ورعاية الطفولة ومعالجة المظاهر السلبية المتفاقمة الناجمة عن اتساع دائرة العزوف عن الزواج وارتفاع عدد قضايا الطلاق وتدني نسبة النمو الديمغرافي^٨.

^١ حديث لا يفلح قوم ولتهم امرأة

^{٢٢} الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ١٧٨.

^٣ الغنوشي، من قضايا الفكر الإسلامي في تونس، ص ١٢٤

^٤ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٦٤.

^٥ المرجع السابق، ٦٤.

^٦ عقد مكارمة مصطلح لابن عاشور لتمييز عقد الزواج عن بقية العقود التي يدخل فيها البذل كعقود البيع، "مقاصد

الشريعة الإسلامية"، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١) ص ٤٣٧.

^٧ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٦٨.

^٨ البيان التأسيسي ٧-٢-٢٠٠١.

المبحث الثالث

القضايا السياسية

تعتبر المسألة السياسية من أكثر الجوانب التي استطاعت فيها حركة النهضة تقديم صيغ تصور فريدة خاصة على مستوى تمثل المفاهيم التي شكلت مباحث إشكالية لدى الإسلاميين، وهو ما أعطاها القدرة على استيعابها والحسم فيها بدل أن تكون عامل شد إلى وراء، كما أقرت الحركة الفصل بين السياسي والدعوي كاتجاه نحو التخصص الوظيفي أملت اعتبارات سياسية، ورغبة ذاتية في التفرغ للعمل السياسي دون غيره.

المطلب الأول: الموقف من المفاهيم الإشكالية

إن المقصود بالمفاهيم أو المصطلحات الإشكالية تلك المحاور التي شكلت ولازالت مرتبط خلاف داخل المدارس الفكرية الإسلامية ولعل أهمها الديمقراطية والعلمانية والمواطنة، فضلا عن تصور شكل نظام الحكم:

أولاً: الموقف من الديمقراطية

تعتبر الديمقراطية من أكثر المباحث إشكالية بين الجماعات الإسلامية منذ أواسط القرن العشرين، بين من يعتبرها كفر وحاكميه تراحم حكم الله إلى مفرق بين آلياتها ومبادئها مما يعني الأخذ بها كوسيلة لا فلسفة ومبادئ^١، في حين اعتبرت الحركة أن الديمقراطية من جوهر الإسلام وصلبه، فعلى الرغم من خلو بيانها التأسيسي من كلمة الديمقراطية التي استعاضت عنها بالشورى^٢، أصلت الحركة المسألة في أدبياتها فيما بعد واعتبرها من أولى اهتماماتها^٣.

فبالعودة إلى أدبيات الحركة تحديدا كتاب الحريات العامة في الدولة الإسلامية تحديدا الفصل الثالث المعنون بـ " المبادئ الأساسية للديمقراطية " أثنى راشد الغنوشي في بداية الفصل على الديمقراطية واعتبرها لا مجرد صناعة غربية صرفه بل هي ثمرة تطور تراث حضاري إنساني متراكم، وأن الإسلام لم يأتي ليرسم القطيعة مع التراث الإنساني.

^١ " الديمقراطية في الفكر الحركي الإسلامي هي مجموعة من الإجراءات، والتقنيات، والأدوات المجردة من مصاحباتها الفلسفية ...، مبروك عائشة، حركة النهضة والديمقراطية، (تونس: دار المتوسط للنشر، ط ١، ٢٠١٥)، ص ١٢.

^٢ التحفظ والتردد الذي أبدته الحركة الإسلامية تجاه الديمقراطية بمعناها العام يرجع إلى بعض مقتضياتها الفلسفية، خاصة ما تعلق بمبادئ الحرية، ووضع القوانين والمساواة. المرجع نفسه، ص ١٢.

^٣ البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي، ٦ / ٦ / ١٩٨١.

كما أعتبرها مجرد آلية مثلها مثل الآليات الصناعية، وليس ما فيها ما يتناقض مع القيم الإسلامية.^١ بل هي "أفضل وسيلة متاحة حتى الآن أسفر عنها تطور العلوم والمعارف".^٢ ثم يعرض الغنوشي الديمقراطية الغربية على معيار النقد لا من منظور شرعي بل فكري، ففكرة أن الديمقراطية هي حكم الشعب للشعب مثالية ومستحيلة التحقق في رأيه، إذ أن الشعب سيعهد إلى اختيار من يحكه فهو حكم النخبة بالإنابة وهو ما تمخضت عنه في مرحلة متقدمة أرستقراطية جديدة تقوم مرة على الشعب ومرة على المال، وعلى العكس من ذلك قامت الديمقراطية الماركسية على نظرية أن الطريق الوحيد لحرية الجماهير هو امتلاكها لوسائل الإنتاج وبمصادرة كل ملكية فردية. وعليه فإن التوازن مفقود في كلا التوجهين.

ويعرج الأستاذ راشد بالرد على من يقول أن الديمقراطية مجرد وسيلة استجلاب للنمط الغربي بالقول: "الجهاز الديمقراطي المسيحي قد عمل في إطار المسيحية فأننتج المسيحيات الديمقراطية وعمل في إطار الفلسفة الاشتراكية فأننتج الديمقراطيات الاشتراكية، وفي إطار القيم اليهودية فأننتج الديمقراطية اليهودية".^٣ وقياسا عليه فإنه إن عمل في الإطار الإسلامي فسيننتج ديمقراطية إسلامية. هذا و تجدر الإشارة أن الغنوشي و إن تمايز في البيئة الإسلامية بهذه الأفكار فإنه لم يتقرد بها في البيئة التونسية، إذ سبقه في ذلك الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور في كتابه أصول النظام الاجتماعي في الإسلام تحديدا في مستهل حديثه عن الحكومة في الدولة الإسلامية، حيث يخلص الشيخ إلى أن الرسول صلى عليه وسلم لم يعين خليفة من بعده بل ترك الأمر لعامة المسلمين لاختيار من يقوم بمصالحهم، حتى تكون للأمة "الكلمة في اختيار وليها" وهو ما يعبر عنه بآلية الديمقراطية، فهي لا تتعارض في رأيه مع روح الإسلام بل تمثل امتدادا لفلسفته".^٤

ثانيا: تصور نظام الحكم

على غرار بقية الإسلاميين يرى الغنوشي في معرض حديثه عن الحكم الإسلامي تصورا وتأصيلا، أن الإسلام نظام شامل حسب إجماع الأمة^٥، وبذلك هو دين ودولة، وأن دعوات الفصل بينها لم

^١ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٩٠.

^٢ المرجع نفسه، ص ٩٢.

^٣ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٩٢.

^٤ محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، (تونس: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط ٢، ٢٠٠١)، ص ١٦٥.

^٥ شذ عن ذلك من القدماء حسب الغنوشي "عالم واحد من المعترلة وفرع صغير من الخواارج " الحريات العامة، ص

تبدأ إلا بعد الاحتكاك بالغرب صاحب الفكرة في هذا المنزع، بل إن أغلب الدعوات التي جاءت في هذا السياق كان مشكوك فيها إذ كانت في غاياتها من أجل الإجهاز على ما تبقى من دولة الخلافة.^١ لكنه خلافا للسواد الأعظم من الإسلاميين يذهب الغنوشي إلى أن ضرورة إقامة السلطة في الإسلام تتأتى أهميتها لا من كونها أمر مقصود لذاته، أو لكونها جزء من الإسلام كالصوم والصلاة^٢، إنما بالنظر إلى المصالح التي أنيطت بها وجودا وعدما. فعدم إقامتها من شأنه أن يعطل الشرائع التي جاء بها الإسلام، من ذلك إقامة العدل فضلا عن تحقيق مقاصد الشريعة من حفظ المساواة والتوزيع العادل للثروات.^٣

وبناء على ما تم عرضه من المعلومات فإن السلطة في الإسلام حسب تصور الغنوشي ليست مقدسة في ذاتها بمعنى أنها لا تتمتع بوظيفة دينية، بل تتأتى أهميتها بالنظر إلى ما تعلق بها من مصالح وحاجات فهي " ذات وظيفة اجتماعية " أهميتها لا في ذاتها وشكلها بل في غاياتها، وهذا طرح في غاية الأهمية إذ على ضوءه سيتحدد الموقف من شكل الدولة في الإسلام فمادامت ليست مقدسة لذاتها فالشكل لم يعد مسألة توقيفية مقدسة تنزل منزلة الحكم^٤، كما أن توصيف السلطة في الإسلام بأنها غير دينية بل مدنية^٥ جعل منها هيكلا منظما للحياة العامة لا يختلف عن الديمقراطيات الأخرى بحسب الغنوشي إلا في مستوى المرجعية .

وبذلك جاء التصور العام للدولة في الإسلام على أنها "الجهاز التنفيذي الذي يهدف إلى تحقيق مثل ومبادئ الإسلام في إيجاد أمة تقف نفسها على الخير والعدل، تحق الحق وتبطل الباطل على الأرض كلها".^٦

فمن ناحية الشكل إذن، يعتبر الغنوشي أن الدولة في الإسلام لا تختلف عن بقية الدول العادية في العالم فهي تتكون من: الشعب (الأمة)، السلطة^٧ بمؤسساتها القانونية والسياسية، لكنها تتميز بنوع العقائد والقيم والقواعد التشريعية الرئيسية، التي تمثل مضمون نظام معين وروحه العامة (روح التشريع).^٨

^١ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ٩٨ - ٩٩.

^٢ " السلطة ليست جزء من الإسلام بل هي وظيفة أساسية لقيامه " المرجع السابق، ص ١٠١.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٠١.

^٤ كما هو الحال بالنسبة لحزب الحرير مثلا والذي أول حديث خلافة على منهاج النبوة بفهم الشكل.

^٥ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ١٠٣.

^٦ الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ١٠٣.

^٧ المرجع السابق، ص ١٠٤.

^٨ المرجع السابق، ص ١٠٦.

ثالثا: الموقف من العلمانية

على غرار مفهوم الديمقراطية يخضع الغنوشي مصطلح العلمانية إلى التفكير وإعادة التركيب بغية بيان مستوياته وأنماط تفاعله، مخالفا بذلك السواد العام من الإسلاميين الذين اختزلوا مفهوم العلمانية في الفصل بين ثنائية الدين والسياسية.

فبالعودة إلى الأصل تحديدا الإطار الزمكاني لنشأة العلمانية، يرى الغنوشي أن المناخ العام في أوروبا كان يشكو من تسلط المؤسسة السياسية على الحياة الشاملة من خلال دمج وتوظيف المؤسسة الدينية في المؤسسة السياسية، منزلق أدى إلى تركيز نظام شمولي ثيوقراطي لا يفصل بين السلطات ولا يحد من صلاحيات الحاكم، فتولدت الحاجة هاهنا إلى العلمانية كحل إجرائي يهدف إلى الفصل بين المؤسستين اللتان لا دمج لهما في الإسلام^١ من أصله، فسلطة العلماء كانت مستقلة بذاتها عن السلطة السياسية، ضاربا المثل بمؤسستي الأزهر والزيتونة اللتان ظلتا قائمتان بدورهما الديني عند تخلف السلطة السياسية، وانشغالها في حروب السلطة^٢.

ثم تحول مصطلح العلمانية في الغرب من أداة فصل إجرائي إلى فلسفة وزاوية تصور للعالم، فنزعت عنه قداسته وحولته إلى "مجرد أدوات استعماله" مكتسية بذلك طابع الشمولية، وبذلك نفهم أن الغنوشي يميز بين أنماط العلمانية ومستوياتها من جزئية إلى شاملة^٣ لا على أساس قوة التأثير بل على أساس طريقة تكييف العلمانية إما كفكرة وإما كآلية. وبذلك لا يرى الرجل تعارضا بين الدين والعلمانية الجزئية فالإسلام في تصوره نشأ على الفصل بين المؤسستين الدينية والسياسية^٤.

رابعا: الموقف من المواطنة

المواطنة مصطلح سياسي حديث يقصد به في أبسط تعريفاته رابطة انتماء فرد ما إلى قطر ما، وبناء على هذه الرابطة يتحدد ماله وما عليه أي دائرة حقوقه وواجباته. كما ارتبط هذا المفهوم بتشكيل الدولة القومية، فبعد أن كانت الرابطة الدينية في أوروبا هي جامعة الشعوب في عهد الإمبراطوريات،

^١ يقصد الغنوشي هنا على ما يطلق عليه حكم الرشيد أي ما ينبغي أن يكون عليه الحكم في الإسلام فأغلب النماذج التي قدمت خلال التاريخ لا تمثله.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٠٦.

^٣ أول من أصل هذا التقسيم المفكر المصري عبد الله المسيري رحمه الله في كتابه العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.

^٤ راشد الغنوشي، "العلمانية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة"، (تونس: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٦)، ص ٤ - ٥ - ٦ - ٧.

وبعد تفكك هذه الأخيرة، صار لزاما على الدولة القومية البحث عن رابطة بديلة أي المواطنة، هذا الترابط في النشأة جعل الخلط يسيرا بين مفهومي المواطنة والعلمانية من جهة والمواطنة والديمقراطية من جهة أخرى.^١

أما في السياق الإسلامي، وبحسب الغنوشي، فإن الشريعة أقرت هذه المفاهيم في فترة مبكرة، حيث يعتبر دستور المدينة^٢، أول وثيقة نصت على مبادئ المواطنة^٣، كما تطرق إلى بعض المغالطات التي شابت هذا المصطلح، كمحاولات البعض إلباس المصطلح مفهوما دينيا عقديا، فيقع الخلط وقتها بين الولاء للدولة والولاء للعقيدة^٤، في حين أن المواطنة مجرد رابطة سياسية تحدد الحقوق والواجبات، لعل الجنسية أقرب تمثالاتها.^٥

كما عاب الغنوشي في هذا الإطار، عدم قدرة الإسلاميين تجاوز مفهوم أهل الذمة الذي استغل من قبل خصوم الإسلام لتشويه معالم الإسلام السمحة، فالاستعاضة عن هذا المصطلح بالمواطنة مادام يشترك معها في المعنى، أمر لا ضير فيه.^٦

^١ راشد الغنوشي، "إرهاصات الثورة"، (تونس: دار المجتهد للنشر، ط٢، ٢٠١٥)، ص ١٣٥.

^٢ يقصد بها صحيفة المدينة.

^٣ دستور المدينة، نشر في كتيب المواطنة والعلمانية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة، ص ٦٣.

^٤ يقدم الغنوشي تعريفا للولاء والبراء بقوله: "البراءة براءة من الأفعال وليس من الأشخاص".

^٥ حوار الجزيرة نت مع الغنوشي، بتاريخ ٢١/٨/٢٠١٠، نشر في كتيب المواطنة والعلمانية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة، ص ٤٠.

^٦ الغنوشي، إرهاصات الثورة، ص ١٣٦.

المطلب الثاني: الفصل بين السياسي والدعوي

يعرف الفيلسوف التونسي أبو يعرب المرزوقي العمل الدعوي كونه: تلك "التربية الخلقية التي تجري في هذا الأفق، والتي تؤسس القيم على معتقدات، وتتجاوز حصر الإنسان في مطالب الدنيا".^١

أما السياسة في التعريفات الاصطلاحية المبسطة لها، فهي "طريقة يمكننا من خلالها أن نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية"^٢، ويعرفها الأستاذ راشد الغنوشي بكونها: "إدارة علاقات القوة بشكل رمزي ينقل الصراع من صورته البدائية العنيفة إلى صور رمزية مدنية، عبر الصحافة والأحزاب والانتخابات وتحشيد الرأي للضغط، بما يجعل أساليب الديمقراطية المعاصرة الصورة المثلى لإدارة علاقات القوة في المجتمع أي السياسة"^٣. ومن الواضح من خلال هذا التعريف أن الغنوشي يتبنى تعريفا للسياسة يتماهى مع فكرة الديمقراطية، فإدارة الحياة العامة حسب رأيه لا يكون إلا من خلال آلياتها.

من أبرز ميزات الخطاب الدعوي أنه خطاب أخلاقي، وعظمي، يستهدف تقويم الأخلاق، وتربية النفس البشرية على المثل والخصال الحميدة والارتقاء بها، عبر حضها على فعل الخيرات، والنهي عن المنكرات، بغية الفوز في الدار الآخرة، وهو معنى مشترك بين أغلب الأديان. وبالعكس من ذلك، فإن الخطاب السياسي في عمومته خطاب واقعي، مادي إلى درجة البرجماتية، فيه المنفعة مقدمة على المثل والورائيات.

وإن كان المنهج الدعوي يقوم في أساسه على ركيزة الكسب، بمعنى أن الداعية يهدف إلى كسب عدد أكبر من الأتباع، عبر استجلابهم إلى دائرته انطلاقا من ثنائية الترهيب والترغيب، فإن الخطاب السياسي خطاب صدامي، يواجه الخصوم، ويتنافس معها بغية التمكن، والسيطرة.

أولا: تعريف الفصل وإشكالاته

سعى حزب حركة النهضة على إثر المؤتمر العاشر من خلال قياداته إلى بيان مدلولاته لمفهوم الفصل عبر وسائل الإعلام، إلا أنه قد وقع الخلط كثيرا في دلالات المصطلح، وهو ما تسبب في

^١ أبو يعرب المرزوقي، الفصل السوي بين الدعوي والسياسي أو بين الحركة والحزب: نشر بتاريخ: 2016/01/29/

<https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com>

^٢ إسماعيل عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص ٢٣٤.

^٣ راشد الغنوشي، "الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ٢٠١٥)، ص

إشكالات من بينها الخلط بين فصل الحركة بين السياسي والدعوي من جهة، وبين السياسي والديني من جهة أخرى.

أ- الفصل بين الدعوي والسياسي:

وقصدت به الحركة: التخصص الوظيفي بحيث يتفرغ الحزب للعمل السياسي وتحال بقية النشاطات للمجتمع المدني^١.

هذا التخصص ينقسم إلى مستويات ثلاثة، فعلى مستوى الخطاب ينحصر مضمون الخطاب السياسي في قضايا الشأن العام في حين يستقل الخطاب الديني بالمسألة الدعوية، أما على مستوى الشخص القائم بالوظيفة في كلا الطرفين فيجب أن يكون مختصاً مؤهلاً للقيام بهذه الوظيفة، وأخيراً تخصص الجهاز حيث أن أنشطة الحزب تنحصر على المسألة السياسية، أما النشاط الدعوي فقد تمت إحالته إلى الجمعيات ومناشط المجتمع المدني.

وهنا تتمايز التجربة التونسية عن نظيرتها المغربية، فإن كانت حركة التوحيد والإصلاح قد أحالت العمل السياسي إلى حزب العدالة والمساواة، فإن حركة النهضة تحولت إلى حزب سياسي مدني، متخلية بذلك عن العمل الدعوي لحساب الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني، وهو ما يطرح تساؤلاً من قبيل إن كانت هذه الخطوة تندرج ضمن تجارب الفصل أو الإلغاء، أو توزيع الأدوار بما يتناسب مع الخصوصية التونسية.

ب- الفصل بين الديني والسياسي

قد تبادر إلى أذهان الكثيرين، أن الحركة أرادت من خلال الفصل استبعاد الدين والتحول إلى العلمانية^٢، إلا أن الوقائع مخالفة لذلك الطرح، حيث أكدت على المرجعية الإسلامية في فصلها

^١ رفيق عبد السلام، إثر لقاء معه في مؤتمر الشرق الأوسط والسياسات في جامعة سكاريا بتاريخ ١٢ / ١٠ / ٢٠١٦.

^٢ نفس التعريف أدلى به في برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٦/٥/٨:

<https://youtu.be/0n2HfqsNmbc>

^٣ يرى فتحي أبو الورد: أنه من الأنسب أن تكون فصل الحزبي عن الدعوى حتى لا يتطرق إلى الذهن معنى العلمانية التي عادت للإسلام: موقع الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين:

<http://iumsonline.org/ar/3/lfsl-byn-ldao-olsys>

الأول^١، والفصل الأول من القوانين الأساسية للأحزاب هو بيان لهويتها الفكرية، فضلا عن ذلك، صرح الغنوشي إعلاميا أن الفصل بين السياسي والديني لا يمكن تصوّره في عقل مسلم، كما أن أدبيات الحركة الصادرة بعد المؤتمر أكدت تمسكها بهذا المبدأ.

ثانيا: دوافع النهضة للتوجه نحو الفصل بين السياسي والدعوي

تنقسم هذه العوامل إلى عوامل نابعة من الحركة، وأخرى نابعة من المحيط، بشقيه الخارجي والإقليمي.

- أ- عوامل الفصل الداخلية

• عامل المراجعات

في معرض حديثه عن المسار الذي أدى بالحركة إلى الفصل، يقول الدكتور عبد الكريم الهاروني: "ما توصلت إليه حركة النهضة هو تتويج لحوار دام سنين على كل المستويات المحلية، والجهوية، والمركزية، ووقع في المؤتمر المصادقة على الخط السياسي، والاختيارات الفكرية، والتصور الاستراتيجي حول التخصص إن النهضة اختارت اختيارا استراتيجيا لم يكن إملاء من أحد أو إكراها من أحد"^٢. هذه التصريحات تحتاج إلى تنسيب، فلئن كانت مسألة الفصل خيارا استراتيجيا، إلا أن ذلك لا ينفى تداخل عوامل خارجية محيطية ودولية دفعت بالحركة نحو هذا الخيار.

في حقيقة الأمر، إن الحركة و لئن توصلت إلى هذا القرار في مؤتمرها الأخير إلا أن الفكرة في أساسها قد سبق و أن أصل لها الأستاذ صالح كركر و هو أحد أهم القيادات المؤسسة للتنظيم، إذ نادى في فترة مبكرة إلى الفصل والاستقلال بين العاملين بقوله أن العمل الدعوي يجب أن يكون من المناشط القارة في المجتمع ويجب أن تقوم عليه جهة مقتدرة ذات علم وخبرة ومصادقية، أي أن يكون من جهة المجتمع المدني بعيدة عن السلطة السياسية والمعارضة، خلاصة القول أن الدعوة

^١ كما تضمن لائحة سبل إدارة المشروع " لا خلاف أن الإسلام يقوم على مفهوم الشمول في التصور باعتبار هذا الدين يقوم على رؤية شاملة متوازنة لمختلف مناحي الحياة. لوائح المؤتمر العاشر، ص ٧١.

^٢ وكالة إرم نيوز: (١٩-٥-٢٠١٦):

<https://www.aremnews.com/news/492682>

^٣ قناة المغاربية " فصل الدعوي عن السياسي وتأثيره على مستقبل الحركات الإسلامية"، نشرت بتاريخ: 5 / 29

:٢٠١٦/

<https://youtu.be/U9FpQl0MNfo>

والتربية هي من مهمة العلماء وطلبة العلم المنتظمين في جمعيات وجماعات من جهة المجتمع المدني.^١ هي دعوة لم تلقى استحسانا من أبناء الحركة وقياداتها في بدايتها، بل أنها كانت نقطة خلاف بين كركر والحركة، إلا أنه وعلى غرار اليسار الإسلامي الذي شكلت أطروحته نقطة خلاف مع الحركة انتهت بالانفصال في فترة متقدمة، أصبحت الحركة اليوم تنادي بهذه المراجعات وتتبانها بحذافيرها.

يوجد مسألة يتغافل عنها أغلب الباحثين في خلفيات الفصل بين السياسي و الدعوي لدى حزب النهضة، ألا وهي أن هذا الطرح يجد له مقدمات كانت قد أفضت إليه داخل النهضة، من ذلك التصور الفكري العام للسلطة^٢ في الإسلام لدى الحركة، فبالعودة إلى أدبيات الحركة ممثلة في كتب رئيسها الغنوشي نجد أن الرجل يعتبر السلطة شأنًا مدنيًا لا دينيًا، بمعنى أن أهميتها أي السلطة لا تكمن في ذاتها أو حكم تعلق بها لكن من خلال ما أنيط بها من شرائع، فالسلطة لا تتمتع بوظيفة دينية بل اجتماعية^٣، وبالتالي فإن الفعل أو الممارسة السياسية ليست مقدسة في ذاتها. كما أن التصور الوظيفي للدولة نزع عنهما كل صفة دينية، كما يقول الغنوشي: " إنه من المهم جدا التأكيد على الطبيعة الوظيفية المدنية للدولة في الإسلام المتمحورة حول إقامة العدل، بما يجعل شرعية وجودها تقاس بقدر ما تقيم من عدل، وهو ما يجردها من كل مزاعم دينية، أو حتمية لمكانتها، فهي مجرد ضرورة^٤ لسد ثغرة تضيق وتتسع حسب حال الجماعة صلاحا^٥.

• معضلة "التضخم السياسي"

على غرار بقية الحركات الإسلامية خاصة الإخوانية منها^٦، شكلت المسألة الدعوية حجر أساس في أدبيات هذه الأخيرة. فتحقيق أهدافها وبرامجها منوط بالأساس عبر إعداد الفرد، والمجتمع، على

^١ صالح كركر، "الحركة الإسلامية وإشكاليات النهضة"، (فرنسا، ط١-١٩٩٨)، ص ٢٤.

^٢ هذا التصور للسلطة يشترك فيه الغنوشي مع صالح كركر وفريد الأنصاري وهم من دعاة الفصل بين السياسي والدعوي.

^٣ راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص ١٠٢.

^٤ يقول الغنوشي: " السلطة ضرورة اجتماعية وأداة من أدوات الأمة في إقامة عدل الإسلام، وهي مجرد أداة اجتماعية. " الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ٢ - ٢٠١٥.

^٥ راشد الغنوشي، إرهابات الثورة، دار المجتهد للمشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٥، ص ٢٢ "

^٦ يقول البنا في معرض المؤتمر الخامس: الدعوة هي الطريقة الأساسية التي اتبعتها كل الانبياء والرسل وهي الواجب الذاتي التي يجب على كل مسلم القيام به. المؤتمر السادس للجماعة الإخوان المسلمين.

رسالة المؤتمر الخامس، نشرت على موقع إخوان ويكي، بتاريخ: ٤-١-٢٠٠٣:

أسس موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية، وهو ما يعبر عنه بالتربية النفسية والإعداد الروحي، من خلال العمل الدعوي مما جعل الحركات الإسلامية تولي المسألة الدعوية أهمية بالغة.

ولكن مع انتقال أغلب الحركات الإسلامية للعمل السياسي الحزبي، و ما صاحب ذلك من توجه عدد كبير من الأطر التربوية والدعوية^١ نحو العمل السياسي والاجتماعي سقطت الحركات الإسلامية في التضخم السياسي، و المقصود بالتضخم السياسي داخل الجماعات هو أن يستغرق العمل السياسي الحزبي نشاط الجماعة على حساب العمل الدعوي فضلا عن استنزاف العمل السياسي للطاقات الدعوية، وهو ما سيؤدي إلى خلل داخل الهيكل التنظيمي للجماعة الإسلامية وإلى ضعف في أدائها الدعوي، إضافة إلى تأثر المجال الدعوي بإكراهات الضغوط السياسية، ويعتبر الشيخ فريد الأنصاري من أبرز من نوه إلى هذه المسألة^٢.

• النأي بالمسألة الدعوية عن التجاذبات السياسية

يعتقد الغنوشي أن إعادة النظر في تموقع المسألة الدينية "الدعوية" والنأي بها عن التجاذبات السياسية الحزبية، هو خيار يصب في صالح الأولى، ذلك أنه وعبر التاريخ، تحديدا مرحلة انقلاب الملك على الخلافة، استطاعت السلطة السياسية أن تبني لها مشروعية على حساب الدين ففصلت وقزمت في حدوده، جاعلة منه مطية لتحقيق إملاءاتها وبسط نفوذها، ولكن بالعكس من ذلك، استطاع المجتمع الأهلي المدني الإسلامي أن يحقق ازدهارا، ويضمن قدرا من استمرارية الأمة وقدراتها، بعيد عن تقلبات السلط، ضاربا بذلك مثلا التعليم الزيتوني^٣.

<http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title>

^١ محمد الحمداوي، مقال بعنوان "وماذا عن التضخم السياسي، نشر في التجديد بتاريخ: ٢٤ / ٨ / ٢٠١٥.
<http://www.maghress.com/attajdid/100848>

^٢ "إن الحركة الإسلامية اليوم مصابة بداء (التضخم) في المجال السياسي"، ص ١٠، فالمتتبع لنشاطها يلحظ أنها قد فترت على المستوى الدعوي التربوي العام، كما استهلكتها أنشطتها الداخلية، الناتجة عن مشاكل التسيير لدوائر الحركة، وكذا اهتماماتها السياسية، سواء بالانخراط والمشارك، أو بالانخراط الرفض فكل موقف في السياسة يجر إلى مهمات وانشغالات جدلية وإعلامية لا تنتهي، فريد الأنصاري، "البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية"، (سلسلة: من القرآن إلى العمران)، ص ١٢٤.

^٣ راشد الغنوشي، "مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١)، ص ٤١.

وفي هذا السياق يتساءل الغنوشي عن موقع المشروع الإسلامي اليوم من عدة نقاط من بينها المجتمع المدني، فيقول: إن مركز الثقل في المنظومة الإسلامية، الإنسان والمجتمع والأمة، باعتبارهم مستخلفين من الله، أما الدولة فليست مخاطبا أصليا، إنما هي مجرد أداة من أدوات الجماعة وفي خدمتها.^١ وبذلك فإن تخصيص المسألة الدعوية . وقصرها على المجتمع المدني هو منحى واختيار يجد في أدبيات الحركة تأصيلا سابقا، ابتغت من خلاله النأي بالدين عن تقلبات السلطة وصراعاتها، فربما عادت دولة الاستبداد من جديد وكان الدين أول قرابينها، نكاية في خصم حاولت استئصاله في الأمس القريب عبر سياسة تجفيف منابع التدين، لذا كان الأولى النأي بالمسألة الدينية عن تجاذبات السياسة.

ثانيا: عوامل الفصل الخارجية

أ- سقوط الحزب الشمولي ومطلب التخصص

تتميز الحركات الإسلامية على رأسها جماعة الإخوان لمسلمين بالشمولية^٢، هذا المنهج كانت تتبناه حركة النهضة في فترة متقدمة من نشاطها حيث أصل الغنوشي في كتاباته أنه من ركائز الحركة الإسلامية الشمول^٣. لكنها أصبحت اليوم تتجاوز هذا الطرح لعدة أسباب، لعل أهمها أنها كانت تخوض معركة ضد حزب حاكم شمولي بمؤسساته الشمولية، وهو ما جعلها تواجه خصمها بنفس المنطق أي الشمولية، لكن بعد سقوط الحزب الحاكم، وانفتاح المجتمع سياسيا لم يعد هناك داعي لهذه الشمولية^٤.

هذا وقد جاء في اللائحة النهائية للمؤتمر العاشر للحركة، أن من بين سلبات شمولية الحركة تسببها في "ضمور النشاط على مستوى القطاعات والفضاءات الحيوية داخل المجتمع، وارتعانه لتقلبات العمل السياسي".^٥ كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن تخلي الحركة عن مبدأ الشمولية لا يعني تخليها

^١ المرجع نفسه السابق، ص ٤٧.

^٢ المؤتمر الخامس للحركة الذي عرف فيه البناء حركته بأنها سياسية، صوفية، سلفية، دعوية، رياضية .

^٣ كتاب الحركة الإسلامية والتحديث للغنوشي والترابي. ص ١٩.

^٤ يقول الغنوشي: هي مرحلة من مراحل تطور المشروع الإسلامي نحن نشأنا حركة شمولية في مواجهة حركات شمولية على رأسها الحزب الحاكم اليوم سقط النظام الشمولي ولم يعد مجال لهذه الشمولية المجتمع صار مفتوحا وفيه الديمقراطية " في رواية أخرى ١٣ ماي ٢٠١٥:

^٥ <https://youtu.be/Yoso38dKFbA>

^٥ اللائحة العامة لمؤتمرات المحلية لحركة النهضة، ص ٥.

عن مبدأ شمولية الإسلام، الذي تعتبره ركيزة من ركائزها^١. فهو إذن تخصص مؤسسي، يستهدف الهياكل والمؤسسات التنظيمية، لا المرجعية.

ب- مشاركة النهضة في السلطة

على الرغم من تحصيلها على النسبة الأعلى في نتائج الانتخابات التشريعية ٢٠١١، إلا أنها لم تحظى بأغلبية مطلقة، تجعلها تمارس الفعل السياسي بأريحية تامة، خاصة أمام اصطدامها بمعارضة شديدة من قبل العديد من الأطراف السياسية، التي لم تشأ أن ترى حركة إسلامية في السلطة، تترجم المشهد القائم، بما فيهم أصدقاء الأمس الذي رفضوا الالتحاق بالائتلاف الحاكم^٢.

ومن ناحية أخرى، كانت الحركة تخوض وضعية حكم انتقالي، تفتقد فيه إلى التجربة في ممارسة السلطة، خاصة أمام تراكم المطالب الاجتماعية، والمشاكل الداخلية والأمنية.

هذا على مستوى الداخلي، أما على مستوى الخارجي، كانت النهضة واعية بحجم المخاوف الغربية من تموقع حركة إسلامية في السلطة، تحديدا بعد أحداث الانقلاب العسكري في مصر، وما قدمه من شحنة للثورة المضادة، التي سعت إلى استنساخ السيناريو المصري في تونس، وهو ما ولد ضغطا متزايدا على الحركة.

ج- حسم الدستور في مسألة الهوية

تعتبر حركة النهضة التونسية نفسها ردة فعل طبيعية على تجربة التغريب العميقة، التي خاضتها دولة ما بعد الاستقلال، لا فقط على هياكل مؤسساتها، بل كذلك دخل المجتمع، بإسقاط النموذج الغربي على نمط الحياة، وهو ما شكل تعسفا على الهوية التي كادت أن تتمحي لولا محاولات التصدي للمنهج التغريبي، محاولات كتب لبعضها الاندثار وآخر النجاح، ولعل أبرزها الجماعة الإسلامية التي تحولت وتطورت منذ نشأتها إلى الاتجاه الإسلامي، ثم حركة نهضة ثم حزب النهضة.

وبسبب هذا الهاجس أي هاجس الهوية، كانت الحركة ترى في نفسها من موقعها كحركة معارضة يدخل الدين كمكون من مكونات مرجعيتها الأساسية المسئول الأساس في الدفاع عن الهوية، بل اعتبرت حربها ضد العلمانية والنظام في بداياتها هي حرب هوية بامتياز.

^١ جاء في كتاب من تجربة الحركة الإسلامية للغنوشي أن: " الإسلام نظام شامل "، ص ٩٨.

^٢ عدا عن المؤتمر من أجل الجمهورية وحزب التكتل رفضت أغلب مكونات هيئة ١٨ أكتوبر التحالف مع النهضة.

ومن أجل ذلك، حرصت النهضة الحفاظ على الفصل الأول من الدستور الذي يؤكد على هوية تونس العربية الإسلامية، بل أضافت إليه فقرة تنصص على أن هذا الفصل غير قابل للتعديل، أي غير خاضع لأحكام الفصل ١٤٣ من الدستور والذي يخول رئيس الجمهورية أو ثلث أعضاء البرلمان اقتراح تعديل بنود دستور الجمهورية الثانية.

وبهذا فإن الفصل الأول من الدستور فصل ثابت لا يمكن المساس به بأي وجه من الوجوه، لكن الإشكال ليس هنا، بل يكمن في التطبيق، فهذا الفصل بصياغته الحالية قد وضع منذ دستور الاستقلال سنة ١٩٥٩، لكن ذلك لم يمنع نظامين متعاقبين من الصدام مع الهوية الوطنية بمسميات مختلفة.

-د- الموانع القانونية

من بين الأسباب التي تصرح الحركة أنها دفعت بها إلى الفصل بين السياسي والدعوي هو المانع القانوني، وبالعودة إلى المرسوم المنظم للأحزاب والجمعيات ألا وهو القانون عدد ٨٧ لسنة ٢٠١١ المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ٢٠١١، لا نجد فصلا يتضمن بطريقة ضمنية أو صريحة ما يمنع الأحزاب من القيام على أساس ديني، لكن الفصل ٣ منه يلزمها باحترام علوية القوانين.

وبالرجوع إلى قمة الهرم في القوانين أي الدستور، تضمن فصله السادس حكما يلزم الأحزاب السياسية بتحييد المساجد عن الدعاية الحزبية، ومسألة تحييد المساجد قضية شغلت الرأي العام التونسي بعد الثورة بسبب خروج العديد من المساجد عن سيطرة وزارة الشؤون الدينية وتحولها إلى ساحة للتجاذبات السياسية و المذهبية، كما أن الذهنية التونسية خاصة المتخوفة منها من الإسلاميين تحفظ جيدا في ذاكرتها مشهد انطلاق نواة الجماعة الإسلامية من حلقة صغيرة داخل مسجد، قبل أن تنتشر وتتحول إلى ظاهرة، ثم إلى حركة هي من أقوى الحركات السياسية في تونس.

الفصل الثالث

تطور سياسات حركة النهضة

استأنفت حركة النهضة التونسية النشاط السياسي بعد الثورة وبعد انقطاع دام أكثر من عقدين من الزمن، ولكن هذه المرة ليست كجزء من منظومة المعارضة ضد النظام القائم، بل كطرف في السلطة تمكن من الفوز في أول انتخابات ديمقراطية يشهدها البلد وهي انتخابات أكتوبر ٢٠١١، شرعية انتخابية مكنت الحركة من تزعم المجلس التأسيسي الذي صاغ دستوراً جديداً للبلاد بمعية الترويكا وقاد تونس في مرحلة انتقالية مضطربة.

كما وجدت الحركة نفسها محاطة بمعارضة من منظومة النظام القديم "التجمع الحر الدستوري الديمقراطي" المفكك من جهة، ومن أصدقاء الأمل القريب الذين تحولوا إلى خصوماً سياسيين بسبب هواجسهم من حكومة يقودها الإسلاميون.^١

ولقد كان للضغوط الخارجية النصيب الوافر في تحديد الممارسة أو الفعل السياسي لحركة النهضة، فبقدر ما كانت التجربة التونسية محط إعجاب غلبة خاصية السلمية وعدم جنحها نحو العنف، إلا أن العواصم الغربية كانت متوجسة من تغير ديمقراطي يمكن حركة إسلامية من زمام السلطة، وهي مسألة لم يعهد الغرب التعامل معها، بالإضافة إلى ذلك لوح شبح نكوص جل تجارب الربيع العربي على التجربة التونسية الوليدة، خاصة الانقلاب العسكري في مصر، حيث مورست ضغوط على النهضة انتهت بتسليمها السلطة إلى حكومة كفاءات وطنية (تكنوقراط)، كما تغيرت خريطة التحالفات من فك الارتباط مع أصدقاء الأمل (الترويكا) والتحالف مع حكومة النداء "أعداء الأمل".

المبحث الأول: النهضة والثورة

لم تعرف تونس في تاريخها الحديث ومنذ الاستقلال عن الاحتلال الفرنسي (١٩٥٦) تجربة حكم ديمقراطي، فخلال حوالي نصف قرن من الزمن وعلى الرغم من كون الدولة التونسية اختارت النظام الجمهوري بدل الملكي عند التأسيس، لم يتعاقب على الحكم في البلاد إلا رئيسين، وإن اختلفا في مستوى أدائها السياسي حيث راهن بورقيبة على بناء دولة حديثة على الطراز الغربي حتى لقب من

^١ المقصود بهم هيئة ١٨ أكتوبر.

قبل أنصاره بالزعيم الملهم، لا يعرف لبن علي إنجاز يرتقي به إلى مستوى نظيره السابق في السلطة، كما أن الرئيسين انتهجاً سياسة انغلاق وسيطرة للحزب الحاكم على مفاصل الدولة، ممارسات أفست إلى تراكمات انتهى بها الأمر إلى ظواهر اجتماعية واقتصادية وسياسية أدت إلى ثورة عرفت بثورة الكرامة.

علق التونسيون على هذا الحدث التاريخي آمالاً كثيرة، كتب لبعضها التحقق والفشل أو الانتظار، كما مثلت الثورة التونسية باكورة وفتحة ثورات ما يسمى بالربيع العربي، وهي واحدة من أهم الثورات التي هزت المنطقة^١، فما إن سقط رأس النظام في تونس حتى خرجت الجماهير في عدة أقطار عربية للمطالبة بالحرية.

المطلب الأول: تعريف الثورة

أولاً: التعريف الاصطلاحي:

إن الاهتداء إلى تعريف علمي جامع للثورة أمر من الصعوبة بمكان، ذلك أن المصطلح دارج في الاستعمال اللغوي اليومي للدلالة على ظواهر وأحداث مختلفة^٢، وفي العموم تعرف الثورة بأنها فعل شعبي عفوي تلقائي^٣، يفضي إلى أحداث و تحركات تكون خارج البنية الدستورية القائمة أو خارج الشرعية^٤، والتي تقود إلى تغييرات جذرية في الواقع على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحتى الثقافي لشعب أو مجموعة بشرية ما، وبشكل شامل وعميق، وعلى المدى الطويل، ينتج عنها تغيير في بنية التفكير الاجتماعي للشعب الثائر، وكذلك إعادة توزيع الثورات والسلطة^٥، كما تعرف

^١ توفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٣٨٣.

^٢ عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة "، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، ص ٦.

^٣ عصام عبد الشافي، "واقع الأمة"، (مصر: التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان، العدد ١٠، ٢٠١٣)، ص ١٠٩.

^٤ عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة، ص ٢٢.

^٥ فتحي ليسير، معجم الثورة التونسية، ص ٩٧.

الثورة بأنها مرحلة أخيرة تأتي بعد استنفاد كل محاولات معالجة أو إصلاح للنظام القائم^١، مما يحول دون كل مساعي التغيير المتاحة ، فتخرج الجماهير وقتها إلى الشوارع لإسقاط النظام.

وتتميز الثورة عن المصطلحات المجاورة كالانقلاب والانتفاضة على عدة مستويات، فلئن اشتركت الثورة مع الانقلاب العسكري في مسألة إسقاط نظام الحكم إلا أنها تتميز عن الانقلاب العسكري بعنصر الشعبية وعدم انحسارها في مجموعة ضيقة كالعسكر، كما أنها تقضي عادة إلى حكومة مدنية. كما تتميز الثورة عن الانتفاضة كون الأخيرة هبة غضب شعبي لا ترقى في مستوى النتائج إلى عمق التغيير الذي تحدثه الثورات، فضلا عن كونها تتسم بالتوقيت، أما الثورات فتكون عادة أكثر عمقا ونتائجها أكثر استمرارية من الانتفاضة.

وانطلاقا من هذه التعريفات لابد أن تتوفر في حدث الثورة جملة معطيات حتى يتم تكيفه على أنه ثورة، فعلى مستوى توصيفات الفعل في ذاته لابد أن يكون عفويا غير مخطط له، وشعبيا يشوبه التعميم ويفتقد في غالبه إلى القيادة الموجهة للفعل الثوري وإن ساهمت هذه القيادات بطريقة أو ما في بلورته. أما على مستوى أهداف الفعل فالثورات تعمل على إسقاط منظومة قديمة والتأسيس إلى بنية حكم جديدة، يعبر عنها بالبديل.

كما انقسمت تعريفات الثورة في مسألة إن كان الفعل الثوري مرتبط بإسقاط النظام أم فقط بسقوط رأس السلطة، إذا يذهب البعض أن الثورة تغيير لا يطال النظام السياسي بل ينحصر في رأس السلطة، فحين يرى طرح آخر وهو الغالب أن الفعل الثوري هو عملية تغيير سريع وجذري للنظام السياسي، مما يترتب عنه الإطاحة بالنظام القديم والنخبة التابعة له، وهنا لا بد من الإشارة إلى الفرق بين النظام والسلطة، إذ يتم الخلط كثيرا حد الدمج بين المصطلحين.

يقصد بالسلطة، الحكومة علاوة على السلطات الثلاث المتعارف عليها (التشريعية، القضائية والتنفيذية)، في حين أن النظام هو أشمل من ذلك، إذ أنه يتضمن الدولة وإداراتها ومؤسساتها وآليات عملها.^٢

كما برهنت تجارب ثورات الربيع العربي أن الثورة هي تغيير يستهدف إسقاط النظام لا مجرد تغيير السلطة، ذلك أن الأنظمة في الدول الديكتاتورية تتعدم فيها مفاهيم المؤسساتية لصالح مفاهيم

^١ محمد مختار القلاي، الطاهر بن يوسف، "الثورة المضادة في تونس الباجي قائد السبسي نموذجا"، (تونس- ٢٠١٢)، ص ١٣.

^٢ حسن العودات، "إسقاط النظام أم إسقاط السلطة"، موقع البيان، (١ / ١٠ / ٢٠١١):

<http://www.albayan.ae/opinions/articles/2011-10-01-1.1511464>

الشخصنة، إذ تنصهر أدوات الدولة ومؤسسات النظام وتختزل في شخص الحاكم على شاكلة لويس الرابع عشر حينما قال: (أنا الدولة والدولة أنا je suis l'etat et l'etat c'est moi).

ثانيا: موقف النهضة من الثورة

على المستوى النظري يرى الغنوشي في كتابه إرهابات الثورة^١ أن الثورات العربية هي أفضل الجهاد لما تعلق بها من مطلب الحرية^٢، فالإسلام في رأيه ثورة أخلاقية و سياسية و الأنبياء بعثوا ليكونوا ثوارا فهم لم يبعثوا فقط لهدم الأصنام بل لكسر كل الأغلال التي تقيد الشعوب^٣، والحاكم المتأله هو من حارب الإسلام لصالح نموذج الحكم " النبوي الراشدي"، والغنوشي بذلك خالف مواقف عدد كبير من الآراء داخل المدرسة الفقهية الإسلامية والتي ترى في الثورة خروجاً عن ولي الأمر، بل اعتبر تلك الفئة من أصحاب الرأي " خطباء يفتتنون على الإسلام ويسلبونه أهم مقاصده ألا وهو الحرية^٤.

هذا الموقف ليس بجديد على أدبيات الغنوشي وهو ولا يعتبر وليد مراجعات ولا مستجدات بل هو موقف فكري أصيل. فبالعودة إلى الأدبيات الأولى للغنوشي تحديدا فترة التسعينات نجد أنه يتطرق إلى الثورة كأداة من أدوات التغيير عند تعذر الطرق السلمية في القيام بمطلب التغيير^٥، وهو بالضرورة موقف نابع من الإعجاب بالثورة الإيرانية في فترة سابقة، والتي مكنت الإسلاميون من السلطة.

أما على المستوى الواقعي، وتزامنا مع اندلاع أحداث سيدي بوزيد أتبعته الحركة الوقائع بيانات تكشف موقفها من هذه التحركات، فصدر البيان الأول بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠١٠ أي بعد يوم من إحراق البوعزيزي لنفسه، أعلنت فيه الحركة التضامن مع الشاب مع دعوة إلى حوار وطني. ومع تواصل حركات الاحتجاج وتسارع انتشارها في كل البلاد التونسية حيث جابهها النظام بالرصاص الحي فارتقى مئات من الشهداء، أصدرت الحركة بيانا ثان بتاريخ ٩-١-٢٠١١ ضمنته تضامنها مع الانتفاضة الشعبية ودعوة لكل القوى الشعبية والنخب للالتحاق بها.

^١ كتاب صدر بعد الثورات العربية

^٢ راشد الغنوشي، إرهابات الثورة، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ٢٠١٥)، ص ٢١٦.

^٣ المرجع السابق، ص، ٢١١.

^٤ المرجع السابق، ص ٢١١.

^٥ يقول الغنوشي " هناك ثلاث طرق للوصول إلى الحكم: الحل الديمقراطي، الثورة الشعبية، والثورة المسلحة. الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٣٥.

وإن كان لحركة النهضة مواقف إيجابية من الثورة فإن أدائها خلال المسار الثوري خاصة بعد الانتخابات فيه الكثير من المؤاخذات، حتى اعتبر البعض أنها خذلت الثورة في مواقع كثيرة، وهو ما سيتبين من خلال أدائها السياسي بعد تولي السلطة.

المطلب الثاني: النهضة والمسار الثوري

المسار الثوري مصطلح مترابط مع الثورة كترابط السبب بالنتيجة، فعند بداية كل ثورة يتشكل مسار وطريق تشقه لبلوغ أهدافها التي جاءت من أجلها، والأهم من ذلك استمرارية حضورها كفاعل مؤثر في الذهنية الشعبية والممارسة السياسية بغية إنجاحها، تميز المسار الثوري للثورة التونسية بالثبات تارة والنكوص تارة أخرى، كما كان الأداء السياسي لأهم الأحزاب التي وصلت إلى السلطة بعد الثورة أي النهضة، مسكونا بضغط السلطة والثورة المضادة.

أولاً: النهضة والمسار الثوري قبل السلطة

بعيد فرار بن علي من البلاد التونسية نحو المملكة العربية السعودية، أذاعت القناة الرسمية التونسية خطاباً للوزير الأول محمد الغنوشي يعلن فيه توليه مهام تسيير البلاد بوصفه الوزير الأول^١، مع دعوته الأطراف السياسية بمختلف حساسياتها الالتحاق بحكومة وحدة وطنية، كان القرار لا يتماشى مع طموحات ثورة الشعب^٢. كما اعتبرت هذه المبادرة أولى الخطوات التي سعت إلى احتواء الثورة، فالحكومة الجديدة وإن ضمت وجوها من المعارضة إلا أن نصفها تقريباً كان من قيادات الحزب الحاكم القديم الذي ثار عليه الشعب.

جوبهت هذه المبادرة بالانقسام حيث شاركت بعض الأحزاب التي كانت تعارض بن علي الدخول في حكومة الوحدة الوطنية الأولى كحزب نجيب الشابي وأحمد بن إبراهيم، وهو ما مثل استهجاناً من بقية الأطراف التي قاسمته المعارضة أيام القمع، فحين رفضت أطراف أخرى في المعارضة الالتحاق بحكومة محمد الغنوشي واعتبرتها التفافاً على ثورة الشعب، وكانت أبرز هذه الأحزاب ما سيشكل لاحقاً تحالف الترويكا الذي تزعمته النهضة.

^١ جاء بالفصل ٥٦ من الدستور التونسي القديم أنه عند تعذر رئيس الجمهورية القيام بمهامه يفوض سلطاته إلى الوزير الأول بصفة مؤقتة.

^٢ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٣٨٤.

فمن المهجر وقبل عودته إلى تونس صرح الغنوشي رفضه للحكومة، بل دعا محمد الغنوشي إلى الاستقالة، وطالب بطي صفحة التجمع بصفة نهائية، منوها إلى خطر الدستور القديم والذي اعتبره قد نقح على مقاس الدكتاتوريات المتعاقبة وهو ما يجعله بوابة لعودة الدكتاتورية من جديد^١، فلا بد في رأيه من القطع مع المنظومة القديمة والدعوة إلى انتخابات مجلس تأسيسي تضع دستوراً جديداً للبلاد.

كان المسار العام لهذه المواقف من قبل حركة النهضة متناغماً مع مطالب الثوار في الشوارع، حتى أنها اتهمت في أكثر من مناسبة كونها من يدعم رابطات حماية^٢ الثورة ويحركهم في الشوارع لصالحها، ومن بين الأحداث التي دفعت بها النهضة والتي كانت تحسب لصالح المسار الثوري:

أ- دعم القصة ١ و ٢

بعد أن أعلن محمد الغنوشي حكومة الوحدة الوطنية التي ضمت وجوهاً من النظام القديم، توافدت جموع المواطنين من كافة أنحاء البلاد إلى ساحة القصة بتاريخ ٢٣ جانفي ٢٠١١ رافعين شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" في إشارة إلى حكومة محمد الغنوشي، وبالفعل استجابت الحكومة لضغط الشارع ومطالب المعتصمين بعد أيام قليلة من انطلاق الاعتصام، كما لقي هذا الاعتصام الدعم والمشاركة من كل أطراف المجتمع الجمعياتي والسياسي بما فيهم الإسلاميين^٣. ويعتبر هذا الاعتصام بمثابة أهم المحطات في المسار الثوري بعد حدث سقوط بن علي، فبعد إن كانت الحكومة توجه الشارع صار الشارع يملئ اختياراته على الحكومة وهو سلوك يعكس وعي المواطن التونسي بالحياة العامة، كما إنه ارتقى إلى مستوى التقليد، فما إن تيقن الشباب المعتصم من عدم تحقق مطالبهم وانحراف المسار الثوري مرة أخرى، حتى عادوا إلى الشوارع من جديد تحت لواء اعتصام القصة^٤.

^١ حوار أجرته قناة فرنس ٢٤ مع الغنوشي بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١١:

<http://cutt.us/Ev7c4>

^٢ عند سقوط نظام بن عم البلاد فلتان أمني بسبب انسحاب الأمن من مواقعه، فتشكلت لجان أحياء لحماية ممتلكات المواطنين وأمنهم، تحولت هذه الرابطات بعد اعتصام القصة ١ إلى رابطات حماية الثورة.

^٣ معجم الثورة التونسية، فتحي ليسر، ص ٢٢١.

^٤ اعتصام القصة ٢، محمد العقربي، نشر في موقع العربي الجديد بتاريخ ١٤-١-٢٠١٥:

<https://www.alaraby.co.uk/supplementD>

ذلك أن بعد أقل من شهر من انقضاء اعتصام القصبة ١، عاد الثوار بمطالب أكثر عمقا من مجرد رحيل الحكومة لعل عنوانها الأبرز: حل التجمع، وتحديد أجال لانتخابات المجلس التأسيسي الذي سيضع دستورا للبلاد.

ب-الدفع بحل التجمع

حزب التجمع أو الحزب الحاكم في تونس، حزب شمولي يفتقر إلى الايدولوجيا الواضحة، غير أنه يحكم السيطرة على الحياة العامة في تونس فهو أقرب إلى الجهاز الأمني الهلامي^١ المنفذ لأجندة السلطة من الحزب بالمعنى التقليدي للكلمة أو المافيا، كما كان للمعارضة تحلو تسميته. فحينما هرب رئيس الحزب ورأس النظام إلى السعودية كان الشعب التونسي على درجة كبيرة من الوعي بخطورة هذا الجهاز.

من ذلك كانت أطراف عديدة من بينها حركة النهضة تدعو إلى القطع مع المنظومة القديمة ومحاسبة التجمعين المسؤولين عن ارتكاب جرائم في حق أبناء الشعب. وعلى ضوء ذلك، وبإيعاز من ضغط الشارع والمجتمع المدني تقدم وزير الداخلية فرحات الراجحي بتاريخ ٢١ فيفري ٢٠١١ إلى المحكمة الابتدائية بتونس بطلب لحل حزب التجمع، وقد قضت المحكمة بحل الحزب ومصادرة ممتلكاته بتاريخ ٩ مارس ٢٠١١ عملا بمقتضيات الفصل ١٩ من القانون الأساسي المنظم للأحزاب.

ت-دسترة الثورة

الدسترة مصطلح سياسي تشريعي حادث اجترح للدلالة على تضمين المبادئ والمفاهيم الأساسية صلب الدستور^٢، تحديدا الدستور الجديد. وبما أن ديباجة الدساتير تختزل فلسفتها وروحها التشريعية العامة، استهله المشرع التونسي بتثمين الثورة وأهدافها، حيث عكس الدستور هذا المسار حتى أطلق عليه دستور الثورة. كما عكس هذا المسار أيضا رغبة المشرع الجديد في الحفاظ على مفاهيم الثورة ومكتسباتها للأجيال المتعاقبة.

ثانيا: النهضة والمسار الثوري بعد السلطة

على الرغم من تحمسها للثورة، أبدت النهضة بعد تولي السلطة مواقف مخالفة لما كانت عليه قبلها وهو ما أثار ردود فعل تراوحت بين الشجب والتفهم لطبيعة التوقع الجديد.

^١ توفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٣٨٦.

^٢ فتحي ليسير، معجم الثورة التونسية، ص ١٣٧.

أ-معارضة قانون تحصين الثورة

من المفارقات العجيبة أن النهضة كانت من الداعمين الأساس لطي صفحة التجمع وحماية مكتسبات الثورة عبر كل السبل المتاحة، لعل أهمها الدفع نحو تشريع قانون لتحصين الثورة وعزل رموز النظام السابق^١. غير أن النهضة صوتت ضد تمرير القانون، مما أحدث صدمة لحلفائها الذين كانوا يتشاركون معها الموقف، والجماهير التي كانت تدفع بها نحو هذا الخيار^٢.

وقد برر الغنوشي الاعتراض على قانون تحصين الثورة بالقول أن حركته لا تميز بين ما قبل الثورة وما بعدها، أما فيما يخص عزل رموز النظام السابق فجابها بالقول أن كل من دخل تحت مظلة الدستور فهو مواطن تونسي، وإن تعلقت به تجاوزات فالمحاكم هي الفيصل في ذلك^٣.

في حقيقة الأمر، لا يمكن اعتبار هذا الموقف خيار أصيل نابع عن قناعات الحركة، فمواقفها من المنظومة القديمة كانت بينة وموثقة^٤، فالاتجاه الجديد هو نتاج استجابة لإكراهات وضغوطات خارجية وداخلية في إقليم سيطرت فيه الثورة المضادة، ما يعاب على الحركة في هذا المنزلق أو المنحى هو فقدانها الإيمان بالشارع وعدم العودة إليه للدفع بالمسار، كما كانت تفعل كل مرة، ثم أن الثورات المضادة لا تستنسخ بالضرورة، فنجاحها في مصر و اليمن و ليبيا لا يعني حتمية نجاحها في تونس خاصة أنها تفتقد لأهم مقوماتها في الحالة التونسية، ألا وهي تدخل الجيش في السياسة.

لكن ولربما دخول الحركة السلطة ومعاينتها النظام من الداخل، جعلها مدركة بحجم المخاطر التي تنتظرها، وهو ما دفع بها نحو هذا طرح، الذي يرى فيه الكثيرون أنه خيانة للثورة ولدماء الشهداء، فحين تعتبره النهضة الخيار التكتيكي الأصوب لضمان الانتقال الديمقراطي في تونس.

^١ بتاريخ ١١ - ١٣ ماي ٢٠١٣ انعقد مجلس شورى حركة النهضة وكانت أهم مخرجات اجتماعه المطالبة بتمرير قانون تحصين الثورة، في ١٣ مارس ٢٠١٤ تراجعت الحركة عن التصويت لصالح القانون.

^٢ صراع في تونس، موقع العرب: ٧-٢-٢٠١٤:

<https://alarab.co.uk/node/23059>

^٣ لقاء الغنوشي مع جريد المستقبل الكويتية بتاريخ، ٣-٩-٢٠١٥.

^٤ في لقاء صحفي على موجات إذاعة تونس الثقافية، بتاريخ ١٨ جوان ٢٠١٣، صرح الغنوشي أنه: من حق التونسيين حماية ثورتهم من عودة المنظومة القديمة وهي ليست بدعا في الثورات فالثورة الفرنسية مازالت إلى اليوم تحمي نفسها من عودة الملكيين. انظر كتاب إرهابات الثورة لراشد الغنوشي، ص ٢٥٣، رابط الحصة الإذاعية:

https://youtu.be/_H3ko0SylZc

المطلب الثالث: الثورة المضادة

هو مصطلح يقف على الطرف النقيض من الثورة سواء على المستوى المفاهيمي العام أو المستوى التركيبي للمصطلح. فلئن كانت الثورة حدث عفوي جماهيري يهدف إلى التغيير والتحرر عبر إسقاط نظام حكم استعصيت فيه كل السبل العادية، فإن الثورة المضادة فعل منظم ونخبوي يهدف إلى إفشال التغيير و " إرجاع المجتمع إلى سابق عهده"¹، بسبب تضرر عناصره من المسار الثوري وله، فهي حركة ردة لها عدة أدوات وأعمدة أهمها:

أولاً: فلول النظام السابق

قبيل حل الحزب الحاكم، كان عدد المنتمين إليه يقارب ٢ مليون منخرط، أي حوالي سدس التونسيين، ويعود سبب الانخراط المأهول في هياكل الحزب لا لعدة اقتناع عامة الشعب ببرامجه بل بسبب سياسة النظام التي كانت تقوم بتخوين والتشكيك واستباحة كل مواطن يقف خارج الحزب، فكان الانتماء في عمومهم أشبه ما يكون بدفع لشبهة المعارضة للنظام، ووسيلة لتجنب قمع السلطة. كما كان هناك فئة متنفذة مستفيدة من مؤسسات الحزب في خدمة مصالحها الشخصية، هذه الفئة الأقلية من القيادات ورجال الأعمال تضررت جراء حل الحزب ومصادره أملاكه، فسعت بالتالي إلى ضخ المال الفاسد للدفع بالمطلبية الاجتماعية، بغية تعطيل وإفشال أداء حكومة الترويكا نكاية في الثورة².

ثانياً: المعارضة الإقصائية

والمقصود بها تلك المعارضة التي ترفض رفضاً باتاً تواجد الإسلاميين في السلطة، فوصولهم عبر آليات الديمقراطية و تقديمهم ضمانات للمحافظة على سلمية ومدنية الدولة لم يشفع لهم عند هذه الفئة المؤدلجة في الغالب والتي ترى أن مكان الإسلاميين الأنسب إما السجون و إما المنافي، وقد استغلت هذه الأخيرة تواجد المكنث داخل النقابات العمالية لتعطيل أداء حكومة الترويكا، كما أعلنت عليها الحرب منذ فوزها في الانتخابات³، هذا وتذكر الإحصاءات أن عدد الإضرابات التراكمي

¹فتحي ليسير، معجم الثورة، ص ١٠١.

² أنور الجمعاوي، "الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي - اتجاهات وتجارب"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣)، ص ٤٩٧.

³ يقول عادل الثابتي في مقاله، "تونس ثورة تبحث عن تحقيق أهدافها"، (مجلة رؤية التركية): " منذ نجاح الترويكا في الحكم وحسمها سياسياً، بدأت الموجهة بينها وبين خصومها على أسس اقتصادية. مجلة رؤية التركية، عدد ربيع ٢٠١٤، ص ٢٩.

تسبب في عجز تجاري بقيمة ٩,٢'، كما تسبب في خلق بيئة استثمارية غير مستقرة أثرت سلبا على الاقتصاد ، ورفعت في مستوى السخط الاجتماعي ضد الدولة .

ثالثا: الدولة العميقة

إن أول ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر مصطلح الدولة العميقة صورة الدولة داخل الدولة، وأصل المشكلة في هذا السياق عائد إلى سياسة النظام السابق، فيما أن الإدارة امتداد للسلطة، أقامت هذه الأخيرة على تولية المواليين المناصب المفصلية والحساسة داخل الإدارات وأجهزة الدولة مقابل تمكينهم نفوذا ومصالح واسعة، هذه الولاءات وإن سقط رأس النظام إلا أنها وبسبب تضرر مصالحها وخسارتها صلاحياتها قامت بدور المعرقل لمساعي الإصلاح الإداري الذي تسعى إليه الحكومات الجديدة^٣.

يقول النائب اليساري عن الجبهة الشعبية في المجلس التأسيسي حمد الصديق: "إن الدولة العميقة لا تزال مقاومتها قوية لإبقاء الأشياء على ما هي عليه، ومعركتنا هنالك^٤، ويضيف أحد القيادات النهضة التي أجريت معها مقابلة وتولت مهمة داخل المجلس التأسيسي "نحن في السلطة ولكننا لا نحكم"^٥.

^١ بالأرقام والنسب: حصيلة ثلاث سنوات من الإضرابات المتواصلة في تونس، موقع نواة، نشر بتاريخ، ٤ نوفمبر ٢٠١٤:

<http://nawaat.org/portail/2014/11/04>

^٢ لطفي طرشونة، "ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٢)، ص ٤٣.

^٣ أنور الجمعاوي، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٤٩٧.

^٤ برنامج للقصة بقية على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٨،

<https://youtu.be/9YJpXcSwYZM>

^٥ مقابلة مع رئيس مكتب حركة النهضة المحلي بجرجيس السيد عبد الله بلهيه، بتاريخ ٣٠ / ٦ / ٢٠١٧.

المبحث الثاني

الأداء السياسي لحزب حركة النهضة التونسية

بعد أن كان نشاطها مقتصر على معارضة النظام، تغير تموضع حركة النهضة بفعل الثورة التي فتحت الباب أمامها لدخول الانتخابات، إذ أصبحت جزءا من السلطة السياسية والكتلة البرلمانية الأكبر في المجلس التأسيسي الذي وضع دستور الجمهورية الثانية، كما أن حجمها داخل المجلس لم يمنعها من الدخول في تحالفات وتسليم السلطة عند تأزم الوضع في البلاد.

المطلب الأول: الانتخابات والتحالفات

مثلت انتخابات أكتوبر ٢٠١١ أول انتخابات نزيهة تعرفها تونس، كما مثلت صدمة قوية بالنسبة لما يعرف بالتيار الحداثي، الذي كان يهيمن على الحياة السياسية والثقافية للدولة التونسية الحديثة منذ نشأتها، ففي أول اختبار حقيقي لآلية الديمقراطية، فاز من كانوا يصنفون على أنهم أعداء للديمقراطية^١، كما بدأ الحديث وقتها عن مرحلة ما بعد بورقيبة.

يرجع عدد من الباحثين سبب فوز حركة النهضة بموقع الصدارة في الانتخابات إلى عوامل أهمها القدرة التنظيمية للحزب^٢، لكن الأسباب الحقيقية كانت أشمل وأعمق، فحزب التقدم الديمقراطي كان ناشطا قبل الثورة وبعدها ولم يتحصل على النسب التي بلغتتها النهضة، ذلك أن الظواهر الاجتماعية الثقافية لا يفسر سبب نموها وانتشارها إلى تفكيك بنيتها الداخلية فقط^٣، فالمعطى الاجتماعي لمشروع الحركة، إضافة إلى الشرعية النضالية التي اكتسبتها من صراعها مع النظام أكسبها ثقلا متزايدا.

^١ حمة الهامي، ضد الظلامية "الاتجاه الإسلامي، حركة النهضة ... أم حركة انحطاط، (تونس: صامد للنشر والتوزيع، ١٩٨٩)، ص ١٧.

^٢ منذر بالضيافي، "الإسلاميون والحكم، تجربة حركة النهضة في تونس، بين استحقاقات الثورة ومتطلبات الدولة"، (تونس: دار ورقة، ط ١، ٢٠١٤)، ص ٣١.

^٣ صلاح الدين الجورشي، الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، ص ١٢٥.

أولاً: تحالف النهضة مع العلمانيين

هناك صعوبة في الحسم في طبيعة العلاقات بين الإسلاميين والعلمانيين في تونس بموقف ثابت إذ أن المعتدلين من كلا الطرفين لم يمتنعوا عن التمازج بل والتحالف، في حين ظل أقصى اليمين وأقصى اليسار في سجال إعلامي وفكري مفتوح عنوانه الإقصاء والإقصاء المتبادل.

كما لم تتوالى حركة النهضة والتي تصنف نفسها على أنها حركة معتدلة، من التحالف مع بقية الأطياف السياسية في حربها على نظام بن علي، بل أنها أصلت للمسألة في أدبياتها واعتبرت التحالف مع الأحزاب السياسية على مشاربها حتى العلمانية منها في حربها على الديكتاتورية خيار لا يتعارض مع مرجعيتها الإسلامية.^١

ولعل أبرز تجل لهذه الرؤية المشاركة في تحالف هيئة ١٨ أكتوبر و التي بدأت كحركة احتجاج ضد السلطة متمثلة في إضراب جوع بتاريخ ١٨ / ١٠ / ٢٠٠٥ تزامنا مع استضافة تونس القمة العالمية للمعلومات، ضم الإضراب أطرافا سياسية مختلفة التوجهات "كنجيب الشابي رئيس الحزب الديمقراطي التقدمي وسمير ديلو عن النهضة وحمدة الهمامي رئيس حزب العمال الشيوعي وعبد الحميد الصغير عن المستقلين، "كانت أبرز مطالب هذه التحركات إقرار "حرية التعبير والصحافة، وحرية التنظيم الحزبي والجماعي، وتحرير المساجين السياسيين وسنّ قانون العفو العام. وقد استطاعت الحركة من خلال هذا التحالف فك العزلة والحصار الذي طوقها به النظام^٢، بغية القضاء عليها.

ويعتبر تحالف الترويكا^٣ أيضا بمثابة الاختبار^٤ لمقولات النهضة النظرية بموقعها الجديد في السلطة، إذ لم يقف كل من العلمانيين بعد انتخابات أكتوبر ٢٠١١ موقفا موحدا تجاه حركة النهضة فالبعض اختار الدخول معها في تحالف لإدارة المرحلة الانتقالية (الترويكا) فحين اختار شق آخر الاصطفاف في المعارضة.

^١ كتب الغنوشي مقالا سنة ٢٠٠٥ دعا فيه إلى حلف الفضول يجمع الإسلاميين بمختلف المكونات السياسية المعارضة.

^٢ مجموعة مؤلفين، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٤٧١.

^٣ كلمة روسية الأصل، وتعني العربة المجرورة بثلاثة أحصنة وبطريقة متوازية، وفي المعنى المجازي تستعمل الكلمة للدلالة على الحكم الذي يشترك فيه ثلاثة رؤساء يتمتعون بنفس المرتبة. معجم الثورة التونسية، فتحي ليسير، ص ٨٠.

^٤ عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٢٤٤.

فبعد أن أسفرت الانتخابات التشريعية الأولى بعد الثورة^١ عن كتل متفاوتة الحجم داخل المجلس التأسيسي، دخلت أطراف تشكل الأغلبية في تحالف عرف بتحالف الترويك، وهو ائتلاف ثلاثي ضم كل من النهضة (٨٩ مقعد) والحزب المؤتمر من أجل الجمهورية (٢٩ مقعد) وحزب التكتل من أجل الجمهورية (٢٠ مقعد). وقد تحصل هذا التحالف على ثقة ١٥٤ صوت مقابل اعتراض ٣٨ وتحفظ ١١. كما بدأت الترويك مهامها في إدارة شؤون البلد منذ تاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠١١ وسلمت السلطة على إثر الحوار الوطني لحكومة تكنوقراط بعد سلسلة من الأزمات عرفت البلاد.

تكمن أهمية هذا التحالف لا فقط في كونه تركيبة متنوعة من الأحزاب تفردت بها التجربة التونسية دون غيرها من التجارب العربية، بل أيضا في كونه أول حكومة منتخبة تدير الشأن العام للبلاد بعد ثورة شعبية، وهو ما يحمل على عاتقها الدفع بالمسار الثوري، فضلا عن إنقاذ الوضع العام للبلد الذي اتسم بالتأزم خاصة الأمني والاقتصادي منه.

وعلى الرغم من تمكن التحالف الثلاثي في ضمان تماسك المجلس التأسيسي، وإدارة البلاد في ظرفية حرجية ارتفع فيها نسق المطالبة الاجتماعية أمام تفاقم المشاكل الاقتصادية، فضلا عن مطالبته استكمال المهمة الأساس التي انتخب من أجلها، ألا وهي وضع دستور الجمهورية الثانية، على الرغم من هذه النجاحات لم يخلو التحالف من انقسامات خاصة في بعض المواد الخاصة بالدستور وبالتعيينات داخل وزارات السيادة، حتى اتهم هذا التحالف في مناسبات كثيرة أنه تحالف شكلي، تهدف النهضة من خلاله إلى الهيمنة على الحياة السياسية.^٢

كما اختارت وجوه علمانية أخرى الاصطفاف في موقف المعارضة كالجبهة الليبرالية وهي مكونة من عدة أحزاب علمانية ليبرالية اتخذت موقعا معارضا من تحالف الترويك من أبرز مكوناته الحزب الجمهوري الذي يقوده نجيب الشابي. بالإضافة إلى الجبهة الشعبية، وهي قطب سياسي معارض مكون من عدة أحزاب يسارية على رأسها حزب العمال الشيوعي (حمة الهمامي)، والأحزاب القومية الراديكالية ذات التوجه الناصري. علاوة على الاتحاد العام التونسي للشغل، فعلى الرغم من أنه منظمة نقابية شغيلة في الأساس، إلا أنه خاض العديد من الاحتجاجات والإضرابات ضد حكومة الترويك.

^١ أكتوبر ٢٠١١.

^٢ منذر بالضيافي، الإسلاميون والحكم، ص ٤٧.

ثانيا: التحالف الإسلامي:

يُرجع بعض الباحثين ظهور التيار السلفي في تونس إلى الفراغ السلطوي الذي عاشته البلاد بعد سقوط نظام بن علي^١، وهو طرح يحتاج إلى نقد وتنسيب، فالفراغ السلطوي أدى إلى تجلي الظاهرة لا إلى نشأتها، ولا مرأ في أن أجواء الحرية التي شهدتها تونس بعد الثورة أدت إلى اتساعها، شأنها في ذلك شأن بقية المكونات المجتمعية التي كانت حاضرة ومحظورة.

أ- السلفية العلمية التقليدية: إن نشأة التيار السلفي في تونس ترجع إلى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات^٢، وهي وليدة سياسة تسلط قمعية بدأت باجتثاث مؤسسة الزيتونة^٣، مما أدى إلى فراغ تأطير حاولت فيه مؤسسات النظام تقديم خطاب ديني بديل يخدم مصالحها وتوجهاتها، خطاب لم يحز على ثقة شريحة كبيرة من الشعب خاصة الشباب منهم. وبالتوازي مع أزمة يعيشها الخطاب الرسمي كان الخطاب السلفي في المنطقة في تصاعد، بسبب عدة عوامل أهمها انتشار الفضائيات السلفية، فكان هذه الأخيرة بمثابة رافد بديل لخطاب ديني رسمي متأزم.

ب- السلفية الجهادية: حينما نشأت الظاهرة السلفية في تونس لم تجد حركة إسلامية تؤطر مناشطها، لأن هذه الأخيرة كانت بدورها محظورة ومغيبة، فاتجه الكثير من أعضائها نحو أعمال العنف والالتحاق ببؤر التوتر، كما حفز نشاط شبكات الجهاد الدولية بسبب أحداث إقليمية، أهمها حربي أفغانستان والعراق، هذه الظاهرة وأعطاهها مسوغات الانتشار.

ت- السلفية الإصلاحية اختارت فئة من السلفيين، خاصة الرافضة منها للعنف ممارسة العمل السياسي المقتن، ويعتبر حزب جبهة الإصلاح رائد هذه التجربة، وقد تحصل على التأشيرة بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠١٢، كما كان أغلب قيادته ينتمي إلى حركة الاتجاه الإسلامي.

ث- حزب التحرير: ترجع نشأة حزب التحرير في تونس إلى بدايات ثمانيات القرن المنصرم، بمعية من فاضل شطارة الذي انتمى إلى الحزب خلال دراسته في كولونيا، وعند عودته إلى تونس بدأ بجملة تحركات واتصالات، خاصة مع الشق المتبرم من الخيار الديمقراطي حينما أعلنت حركة الاتجاه الإسلامي في بيانها التأسيسي عن أساليب الديمقراطية كخيار للتداول على السلطة أثار هذا المسار حفيظة بعض من منخرطيه تحديدا من كانوا ينادون بحكم إسلامي فوري^٤ وانشقوا عنها،

^١ توفيق المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٤٥٥.

^٢ عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٢٣٤.

^٣ تمت الإشارة في المبحث الأول إلى أن الدولة في تونس قامت على خصومة مع التعليم الزيتوني لأسباب فكرية ومواقف سياسية أهمها موقف الزواتنة المؤيد للحركة اليوسفية التي قام بورقية بتصفيتها، ص ٧.

^٤ عليّة العلاني، الإسلاميون التونسيون، ص ٢٢١.

كما اتجهوا إلى تكوين حزب التحرير الذي عقد المؤتمر التأسيسي سنة ١٩٨٣، تعرض الحزب إلى الحظر و المحاكمة شأنه في ذلك شأن الحركة الإسلامية.

لم تدخل النهضة في تحالفات مع أطراف إسلامية لعدة أسباب، أهمها عدم وجود حزب إسلامي قوي يشاركها نفس البرامج السياسية، والأكثر من ذلك كان شق من السلفية خاصة الجهادية منها يقاطع العملية الانتخابية ويعتبرها كفرية، فاختار التعبير عن مواقفه عبر الشوارع وهو ما سبب الصدام مع النهضة في أكثر من مناسبة، ذلك أن وزير الداخلية كان من كتلتها. من ذلك على سبيل المثال أحداث سفارة أمريكا التي ولدت العداء السلفي تجاه النهضة^٢.

واتهمت بعض الأطراف السياسية النهضة بالتواطؤ مع السلفيين، لأنها لم تمنع تحركاتهم خلال حكومة الترويكا^٣، وكانت ممارسات السلفية الغربية على النمط الاجتماعي التونسي مادة دسمة لوسائل الإعلام، التي استغلتها للتخويف على مكتسبات الحداثة المهددة في زعمها ودعت عبر ذلك للتصدي للإسلاميين كافة بوصفهم ينطلقون من نفس المرجعية، وهو تمشي يدل على أن النهضة هي أول المتضررين من تجاوزات السلفيين في تلك المرحلة.

يصف الباحث التونسي أنور الجمعاوي تعاطي حركة النهضة مع السلفيين بأنه تعاط قام على ثنائية الترغيب والترهيب، ففي البداية حاورت السلفيين ودعتهم إلى انتهاج العمل العلني المنظم في إطار القانون بغية إدماجهم في المجتمع المدني، كما نبهتهم من مغبة اعتماد العنف لفرض قناعاتهم في الفضاء التونسي^٤، خاصة إذا ما علم أنه في أكثر من مناسبة كان هنالك صدام بين تنظيم أنصار الشريعة ومكونات المجتمع المدني التي يغلب عليها الطابع اليساري^٥.

^١ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٤٦٥.

^٢ على إثر عرض الفيلم الأمريكي الذي قام بتجسيد والإساءة إلى شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خرجت مظاهرة غضب في عدة عواصم عربية من بينها تونس، أدت المظاهرات إلى صدام عنيف بسبب رغبة السلفيين اقتحام السفارة فسقط أكثر من قتيلين.

^٣ منذر بالضيافي، الإسلاميون والحكم، ص ١٧٧.

^٤ أنور الجمعاوي، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٥٠٢.

^٥ المديني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٤٧٦.

ثالثا: تحالف النهضة مع حكومة النداء

لم تكن مواقف الباجي قايد السبسي من النهضة بعيد الثورة مواقف سلبية، ذلك أنه كان يقدر دورها على تهدئة الأوضاع أيام ترؤسه الحكومة الانتقالية الثالثة، كما ثمنت قيادات الحركة ما عبرت عنه دور السبسي في الوصول بالبلاد إلى بر الأمان، المقصود بها انتخابات المجلس التأسيسي.^١

لكن بعد أقل من سنة من تولي الترويكات إدارة الحكم في البلاد، وعلى إثر أحداث متعاقبة وأزمات متراكمة مرت بها تونس أقدمت مجموعة من الأحزاب التي لم تتخبط في تحالف الترويكات أي المعارضة لها، إلى تأسيس حركة بقيادة السبسي عرفت بحركة نداء تونس.^٢

ففي أول معرض أعلنت فيه عن وجودها في ٥ جوان ٢٠١٢، طرحت نفسها كبديل لحكم الترويكات الذي حملته الأزمات التي شهدتها تونس ما بعد الثورة، كما اعتبرت أن المشروع البورقيبي الحداثي يهدده حكم الإسلاميين، وهو ما يعطيها الضوء الأخضر لأن تكون قاعدة اليساريين والعلمانيين في حربهم ضد النهضة، لكن ووصولها إلى السلطة بأغلبية لا تمكنها من التفرد بتسيير دواليب الحكم وجدت حركة نداء تونس نفسها في تحالف اضطراري مع عدو الأمس ثاني قوة سياسية بعدها في البلاد، كما أن هذا التحالف كان أشبه بالتسوية السياسية المتمخضة عن لقاء باريس^٣، حيث يرى اتجاه أن النهضة تنازلت عن الحكم مقابل تنازل النداء عن خطة الانقلاب^٤، في إقليم متوتر كانت فيه الثورة المضادة في أوجها و الانقلابات العسكرية هي السمة الطاغية لبلدان الثورات الربيع العربي

^١ الثورة المضادة، مجموعة كتاب ص ١٨١.

^٢ ولد الباجي قائد السبسي في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦ بالعاصمة. نال الإجازة في الحقوق من باريس سنة ١٩٥٠، اشتغل بالمحاماة ونشط في الحزب الاشتراكي الدستوري كما وتقلد مناصب عديدة لعل أهمها وأكثرها جدلا وزيرا للداخلية سنة ١٩٦٥، طرد الباجي من الحزب ثم عاد إليه بعد إقرار بورقيبة الانفتاح السياسي وتوقفت الحياة السياسية للرجل في ١٩٩١، غير أنه استأنفها بعد الثورة فقاد رئاسة حكومة تصريف الأعمال قبل الانتخابات ثم رئيسا للبلاد بعد انتخابات ٢٠١٤. فتحي ليسيير بالتصرف، ٢٠١٧ - ٢٠١٨.

^٣ اجتماع باريس المشهور، التقى فيه الغنوشي بالباجي وتم فيه حسم عدة مسائل. موقع باب بنات: ١٨-٨-٢٠١٣:

<https://www.babnet.net/rttdetail-70001.asp>

^٤ عادل الثبتي، "تونس ثورة تبحث عن تحقيق أهدافها"، مجلة رؤية التركية، ص ٣٢.

المطلب الثاني: وضع دستور

عرفت تونس أول دستور في المنطقة العربية الإسلامية وذلك سنة ١٨٦١ وهو ما يعرف بدستور عهد الأمان، أما الدستور الثاني فكان دستور الاستقلال سنة ١٩٥٩، وأخيرا دستور ٢٠١٤ الذي مر بها إلى مرحلة الجمهورية الثانية.

تمت الدعوة إلى تشريع دستور جديد بعد الثورة مباشرة إذ رفضت عدة أطراف دستور الاستقلال واعتبرت أنه قد أدخلت عليه من التعديلات ما جعله مفصلا على قياس السلطة، وإن سريان العمل به كفيل بإعادة الدكتاتورية إلى مربع النشاط، من ذلك ما جاء في أحد بيانات الحركة أيام حكومة الغنوشي الأولى " إن التمادي في الركون إلى هذا الدستور وما انبثقت عنه وعما يسمى بالمجلس النيابي من قوانين ومؤسسات يمثل خطرا حقيقيا على الثورة وخيانة لدماء الشهداء.^١

وكانت من نتائج الانتخابات التشريعية التي أجريت ٢٣ أكتوبر إفرار تركيبة متنوعة داخل المجلس التأسيسي، وأمام هذا التنوع الإيديولوجي والفكري كانت المرحلة الانتقالية تقتضي دستورا توافيقا يعبر عن تطلعات أغلب التونسيين.

ولأن كتابة الدساتير مرحلة بالغة التعقيد، باعتبارها تقوم على تفكيك القديم والتأسيس للجديد، مرت العملية بجدل مطول^٢، كما تواصل الخلاف في حق مشاريع متعددة لمحامل المدونة الدستورية على امتداد عامين كاملين. وتركز الخلاف بين العلمانيين والإسلاميين على نقاط تتعلق بهوية الدولة ونظام الحكم والحريات العامة والخاصة وحقوق المرأة.^٣

ففيما يخص هوية الدولة، افترق أعضاء اللجان بين مطالب بالتخصيص على الشريعة الإسلامية بوصفها المصدر الرئيس للدستور وبين داعٍ إلى الاكتفاء بمنطوق الفصل الأول من دستور ١٩٥٩ في هذا الشأن، والذي نص على أن "تونس دولة مستقلة ذات سيادة، الإسلام دينها، والعربية لغتها، والجمهورية نظامها"^٤، كما تمت إضافة فقرة إليه تنصص على أن هذا الفصل غير قابل للتعديل.

^١ لندن ١٦ جانفي ٢٠١١.

^٢ أنور الجمعاوي، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٥٠٤.

^٣ أنور الجمعاوي، المشهد السياسي في تونس، الدرب الطويل نحو التوافقات"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - ٢٠١٣)، ص ١٤.

^٤ المصدر السابق، ص ١٣.

وتعتبر معركة الفصل الأول من المعارك القديمة المتجددة لكنها طفت هذه المرة إلى السطح بطريقة أكثر حدة^١، فالخلاف كان حاضرا في هذا الخصوص في دستور ١٩٥٩، بين القوميين والعلمانيين والإسلاميين وقتها، فارتأى المجلس القومي التأسيسي أن يضمن اللغة العربية والديانة الإسلامية بدل المرجعية الإسلامية كحل وسط لإرضاء كل الأطراف.

كما تعاطت حركة النهضة بطريقة سلسة ومرنة مع الخلافات، تعاطي ساهم في تجاوز نقاط إشكالية، إذ أظهرت ليونة تحسب لها، من ذلك قررت عدم التنصيص على إدراج الشريعة في الدستور وهو موقف فريد يجب التوقف عنده ومقارنته ببقية التجارب الإسلامية، التي تتخذ من الإسلام مرجعية^٢.

ومن جهة أخرى، شكلت مسألة تحديد طبيعة نظام الحكم مسألة خلافية بين دعاة نظام برلماني، ودعاة حكم رئاسي، وطرف ثالث يدعو إلى حكم مختلط تتوازى فيه صلاحيات الرئاسة مع صلاحيات البرلمان.

وفيما يخص موضوع المرأة، كان ما يسمى تيار الحداثة قد أعلن ناقوس الخطر وأطلق مناخ من التوجسات والمخاوف من دستور تشارك في صياغته كتلة إسلامية خاصة أنها المهيمنة، وهو ما قد يتهدد مكاسب المرأة، فتعالت دعاوى رفع سقف المساواة بين الرجل والمرأة من قبل الليبراليين والدعوة إلى تحويل المنظومة القانونية في الأحوال الشخصية خاصة مسألة الميراث^٣. لذا ارتأت النهضة أن العلاقة بين الجنسين هي علاقة تكاملية.

استغرقت هذه المواضيع الخلافية مداولات المجلس وهو ما أدى إلى تمديد مدة العام المتوعد بها من قبل أعضاء الترويكا، لكن في الأخير انتهت بدستور توافقي تمت المصادقة عليه بتاريخ ٢٦ جانفي ٢٠١٤، إذ أقر ٢٠٠ عضو من المجلس على الدستور، ورفضه ١٢، مقابل تحفظ ٤ من الأعضاء. ومع الموافقة على دستور جديد مكون من ١٤٩ مادة، تجاوزت تونس أزمة سياسية كبيرة^٤. كما حافظ الدستور الجديد على الفصل الأول من الدستور القديم الذي أكد على هوية البلد

^١ المديني، تاريخ المعارضة، ص ٣٩١.

^٢ بشير الجويني، "الانتقال الديمقراطي في تونس، دستور الجمهورية الثانية وتحديات الصياغة"، مجلة رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية -ستا- عدد ربيع ٢٠١٤)، ص ١٧.

^٣ كانت هناك أصوات داخل المجلس تدعو إلى المساواة بين الجنسين وتنقيح قاعدة " للذكر مثل الأنثيين".

^٤ رمضان يلدرم، "الدستور يتوج ثورة تونس" مجلة رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية -ستا- عدد ربيع ٢٠١٤)، ص ٧.

العربية الإسلامية، أما البند الثاني فقد جاء مستجيباً لخصوصية المرحلة بأن نصص على مفاهيم "الحرية والكرامة والعدالة" وهي مطالب قامت من أجلها الثورة.

ينظر الكثير من المتابعين لتجربة حزب حركة النهضة في صياغة الدستور وقدرتها على التكيف مع الوضعيات المختلفة والمعقدة التي طرحت عليها أو وجدت نفسها إزاءها على أنها درس مهم ومحك واضح ظهرت فيه نوايا الحركة الحقيقية.^١

المطلب الثالث: الحوار الوطني

تسبب اغتيال عضو المجلس التأسيسي وزعيم التيار الشعبي محمد البراهمي (٢٥-٧-٢٠١٣) في انسحاب كتلة نواب مكونة من ستين نائباً من المجلس التأسيسي وقد شكلت الكتلة المنسحبة جبهة بمعية الأحزاب المعارضة للثرويك، كالنداء والجبهة الشعبية وثلة من الأحزاب الليبرالية، عرفت بجبهة الإنقاذ. وفي بيانها التأسيسي أعربت الجبهة عن سعيها إلى تحقيق جملة من الأهداف على رأسها تشكيل حكومة إنقاذ وطني ترأسها شخصية وطنية.

كما تجمع الآلاف من المعتصمين للاعتصام بساحة باردو بعد أن دعت بعض الأطراف إضافة إلى الكتلة المنسحبة من المجلس التأسيسي إليه، جاعلة أهم مطالبها إسقاط الحكومة وحل المجلس التأسيسي،^٢ وهي محاولة لإعادة "استعارة" الحالة المصرية تحديداً مظاهرات ميدان التحرير المنادية برحيل حكومة الإخوان المسلمين، حتى أن الحملة استنسخت نفس التسمية أي "حركة تمرد تونس".

لم تنجح هذه الأخيرة في إسقاط الحكومة وإن ولدت ضغطاً متزايداً عليها، إلا أن هذا الضغط عاضده معطى جديد تسبب في تصعد الأزمة السياسية، تمثل في وقوع عملية إرهابية نوعية ضد الجيش التونسي أسفرت عن استشهاد عدد من عناصره.^٣

وعلى إثر هذه الأحداث عرفت البلاد حالة أزمة^٤ واحتقان دعي على إثرها لإطلاق مبادرة الحوار الوطني بتاريخ ٥ أكتوبر ٢٠١٣ بين عدة أطراف سياسية تونسية بتأطير ومبادرة ورعاية من الاتحاد

^١ بشير الجويني، "الانتقال الديمقراطي في تونس، دستور الجمهورية الثانية وتحديات الصياغة"، مجلة رؤية التركية،

ص ١٥

^٢ موقع باب بنات، بتاريخ: ٢٠٠٣/٨/٠٦:

<https://www.babnet.net/rttdetail-69533.asp>

^٣ عادل الثبتي، "تونس ثورة تبحث عن تحقيق أهدافها"، مجلة رؤية التركية، ص ٣١.

^٤ يصف الغنوشي هذه الأزمة كونها أزمة "طلب فيها رأس النهضة"، إرهابات الثورة، ص ٢٦٣

العام التونسي للشغل، والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، والهيئة الوطنية للمحامين بتونس، عرفت هذه التشكيلة بالرباعي الراعي للحوار^١.

لقيت المبادرة دعماً هذه المبادرة من الرئاسات الثلاث، وهم رئيس الجمهورية المنصف المرزوقي، ورئيس الحكومة علي العريض، ورئيس المجلس الوطني مصطفى بن جعفر. كما نصت خريطة الطريق التي اقترحها الرباعي الراعي للحوار الوطني ١٧ ديسمبر ٢٠١٣ على استكمال أعمال المجلس التأسيسي واختيار أعضاء الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، فضلاً عن تشكيل حكومة محايدة غير مسبقة.

سلمت حكومة الترويكا على إثرها السلطة إلى حكومة وفاق وطني تضمنت كفاءات وطنية عرفت بحكومة التكنوقراط، واستعاض عن الشرعية الانتخابية بالشرعية التوافقية، وبذلك قدمت النهضة المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية^٢، حيث ارتأت أن إنقاذ المسار الديمقراطي أهم من احتفاظها بحكومة رازحة تحت ضغوطات دولية وداخلية، كما بعث هذه الخطوة برسائل ايجابية فيما يخص استقرار الوضع السياسي في تونس، لكنها في نفس الوقت أثارت حفيظة شق واسع من الشارع الذي انتخب الترويكا واعتبر هذه العملية بمثابة تفريط في صوته الانتخابي، خاصة أن جماهير عريضة من التونسيين قد خرجت في مسيرات كبيرة دعماً للشرعية.

كما برهن هذا السلوك عدم صحة مقولة أن الإسلاميين إذا تمكنوا من الحكم انقلبوا على الديمقراطية، وهي شعارات لطالما خوف بها خصوم النهضة منها^٣ فنحن إزاء تجربة فريدة فرطت في الحكم حفاظاً على المسار الديمقراطي.

وفي معرض حديثه عن أهم إنجازات الترويكا قال الغنوشي " المكاسب التي كسبناها هي أننا قدنا بلادنا إلى بر الأمان، قدنا بلادنا إلى أن يكون لها دستور، وهيئة انتخابية، وأن نضع قطار تونس على سكة الديمقراطية، وهذا أكبر مكسب لتونس وللنهضة^٤.

^١ تحصل الرباعي الراعي للحوار على جائزة نوبل للسلام، وهي أول مرة تتحصل فيها تونس على هذه الجائزة

^٢ الغنوشي، إرهابات الثورة، ص ٢٦٥.

^٣ حمة الهمامي، ضد الظلامية، ص ١٧.

^٤ حوار أجراه أحمد المنصور مع راشد الغنوشي، بتاريخ ٤ / ٢٠١٤، نشر في مجلة المستقبل العربي:

المبحث الثالث

تقييم تجربة حركة النهضة

تعتبر التجارب الإسلامية من بين التجارب البشرية التي تقتضي قراءة تقييمية تقوم على تأكيد نقاطها الإيجابية و كذلك كشف جوانبها السلبية، بسبب أهميتها المتأتية من حضورها في أغلب الأقطار الإسلامية بوصفها المعبر عن تطلعات الشعوب التي ترى في البديل الإسلامي حلا لمشاكلها، في هذا المسعى ينتزل المبحث الثالث وهو مبحث تقييمي لأغلب المحطات التي تمت الإشارة إليها في الرسالة، وبما أن الدراسة تعرضت إلى الهيكلية التنظيمية والمسائل الفكرية والممارسة السياسية لحركة النهضة ، فإن التقييم سيكون متماشيا مع تلك التفريعات ، نتمينا ونقدا.

المطلب الأول: المسألة الهيكلية

وبالمعنى بها الخصائص الغالبة على الهيكل التنظيمي سواء الميزات الهيكلية التي استطاعت أن تضمن استمراريته الحركة وتماسكها على مر مراحلها، إضافة الى النقائص المتعلقة بالبنية التنظيمية:

أولاً: تطور الهيكل التنظيمي

امتاز الهيكل التنظيمي بالمرونة و التجاوب مع المعطى الواقعي و القدرة على التفاعل مع العراقيل التي هددت الحركة في وجودها ، فما أن تصادم التنظيم المفتوح " الجماعة الإسلامية " مع النظام البورقيبي حتى اتجهت الجماعة إلى التنظيم السري، وامتازت هذه الفترة من تاريخ التنظيم بسرعة الانتشار واستطاعتها تركيز نواة صلبة داخل المجتمع، وحينما وقع الانكشاف الأمني حاولت حركة الاتجاه الإسلامي تقنين هيكلها في شكل حزب سياسي " النهضة "حتى تتجنب الصدام من السلطة من جديد، وبعد الثورة تخلت النهضة عن الجانب الحركي و ركزت أنشطتها في شكل حزب سياسي مستجيبة بذلك لمتطلبات الواقع و تطلعاته .

إن أبرز أسباب نجاح حركة النهضة في انتخابات المجلس التأسيسي رغم فترة الانقطاع التي ربت عن عقدين عن المجتمع التونسي يرجع بالضرورة إلى قدرتها على جمع صفوفها بطريقة سريعة، وهي مسألة عائدة بالدرجة الأولى إلى طبيعة تنظيمها.

ثانيا: لتطور التنظيمي

وإن أعلنت عن نفسها في مؤتمرها العاشر كحزب مدني حديث إلا أن حركة النهضة مازالت تعاني من المشاكل التقليدية للحركات الإسلامية من بينها:

أ- تضخم القيادة:

يعتبر الغنوشي من أهم القيادات المؤسسة للحركة إن لم نقل أهمها على الإطلاق، فهو من أصل جل أدبيات حركته، كما كان صاحب فكرة تحويلها من الهيكل التنظيمي الدعوي المكشوف إلى العمل السري على الطريقة الإخوانية تجنباً للصدام مع السلطة، وكان رئيسها الأول وهو منصب احتفظ به بطريقة شبه دائمة عدا عن بعض المرات التي كان فيها في السجن. وفي المهجر أو المنفى القسري كما تسميه الحركة، عمل الغنوشي على إعادة تجميع صفوف حركته على الرغم مما لحقها من هجمة أمنية هي الأعنف ضد الحركات السياسية في تونس وبذلك ضمن استمرارية الحركة، ترجمت هذه المساعي عبر المحافظة على عقد مؤتمراتها بطريقة دورية، كذلك تجلت هذه المساعي في شكل تركيز لأنشطتها أيام الحضر على الجانب الحقوقي.

وبفضل هذه الجهود، كان الغنوشي يحظى بـ "كاريزما خاصة" ترجمت في احتفاظه بموقع الصدارة في الحركة، وهو ما أعطاه "طابعا مشايخيا يتنافى مع منطق المؤسسات الحديثة والي تقتضي تحديد مدة ولاية رئيس الحركة وضبط صلاحيته على وجه الدقة حتى تصبح مؤسسة بحق^١، هذا و إذا ما علم أنه أعلن نيته تخليه عن قيادة الحركة بعد عودته إلى تونس فاسحا المجال أمام الشباب^٢ لتولي قيادة الحركة، لكنه على ما يبدو لا يوجد رجل بحجم الغنوشي داخل النهضة جدير بهذا المنصب، وهو ما يطرح سؤال مصير حركة النهضة بعد الغنوشي.

ب- التركيبة

والمقصود بالتركيبة أن لا يتقدم أي شخص سواء كان من خارج الحركة أو داخلها لتقلد مهام أو منصب إلا بعد أن يُشهد له من قبل عنصر معروف داخل المجموعة بالولاء وحسن السيرة و الأخلاق أو طريقة اختيار مهام الأعضاء وصفاتهم داخل التنظيم، وهي آلية إن صحت العبارة في اختيار الأعضاء لتقلد المناصب، وإن أفلحت في الحيلولة دون تمكن الأجهزة الأمنية و المخابراتية من اختراق الهيكل التنظيمي ، والحفاظ على تماسكه، إلا أنها جرت الحركة إلى عدة نقائص، كتقديم الولاءات و أبناء القيادات على أصحاب الكفاءات، وهو ما تسبب في أضرار كثيرة من بينها إضعاف

^١ أنور الجمعاوي، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٤٨٥.

^٢ لقاء في برنامج فرنس ٢٤، بتاريخ ٢١ / ١ / ٢٠١١. (سبق ذكره).

الأداء السياسي للحركة في مواقع كثيرة ، ويعتبر المجلس التأسيسي خير دليل على ذلك حيث رشحت الحركة في قوائمها بعض العناصر التي أساءت إليها بسبب افتقارها للحنكة السياسية بل لأبجديات العمل السياسي و حل محلها عنصر الانتماء. كما تسببت هذه الطريقة في اختيار الأعضاء في القدر في عدالة التنظيم وتدني شعبيته واتهامه بالمحاباة وتفضيل المنتمين وأبنائهم على حساب بقية أبناء الشعب.

ت- الهرمية:

تتجلى هذه الهرمية في علاقة عمودية بين المنتمين، تكون فيها القاعدة تابعة للهرم على مستوى الفعل السياسي والخيارات كعلاقة المرید بالشيخ^١. وفي هذه السياقات يتضاءل حجم الفرد لصالح الجماعة، وتنعدم الروح النقدية لصالح التبعية للأعلى فيكون بذلك المنتمي مجرد تابع ومبرر للتوجه العام للقيادات، الأمر الذي يتسبب في غياب الإبداع وتشابه النماذج داخل الجماعات الإسلامية، وقد ارتبط مفهوم الهرمية بالممارسة السياسية، ودخولها في مرحلة جديدة يطرح عليها إعادة هيكلة، لتجاوز هذه المعضلة.^٢

المطلب الثاني: المسألة الفكرية

إن المسار الفكري العام الذي تبنته حركة النهضة امتاز بالحركية وبالتجاوب مع المعطيات المحلية والدولية وهو ما اكسبه ديناميكية أثرت أطروحاتها في تمثل المسائل الاجتماعية والسياسية، غير أن ذلك لا ينفي وجود نقائص لهذا المنحة الفكري في مواطن عدة فعلى الرغم من المسار التطوري الذي شهدته ظل هذا الأخير يعرف مشاكل حدثت من فاعليته.

أولاً: خصائص البنية الفكرية

وتندرج في هذا السياق: المراجعات التي أجرتها الحركة على أدبياتها، كذلك الانفتاح على التجارب الأخرى سواء منها الإسلامية أو الإنسانية والتي شكلت رافداً فكرياً متنوعاً أسهم في إمداد الحركة بمفاهيم وتصورات للمشاكل المستجدة التي كانت النهضة تواجهها في واقع سياسي واقتصادي وثقافي شديد التغير والتعقيد.

^١ صلاح الدين الجورشي، الحركة الإسلامية، أوراق في النقد الذاتي، مجموعة كتاب، ص ١٣٦.

^٢ الجمعاوي، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، ص ٤٨٦.

أ- المراجعات

امتازت المراجعات التي أجرتها النهضة بالجرأة و الديناميكية والخوض في مسائل تعتبر من الثوابت لدى الحركات الإسلامية، فالتراث ليس بمعطى مقدس في ذاته وعلى الإسلاميين التعامل معه بطريقة نقدية^١، كما أن الديمقراطية ليست بالتبسيط الذي يسوق له السواد الأعظم من الإسلاميين أي بكونها حكم الشعب للشعب، وهو ما يجعلها في تناقض مع حكم الله بل أن الديمقراطية فكرة في الحكم تكتسي خصوصيتها من بيئتها، كما دعت الحركة إلى تحويل بعض المفاهيم التي أريد منها الإساءة للإسلام كمفهوم أهل الذمة و الاستعاضة عنه بالمواطنة، فضلا عن ذلك لا ترى النهضة تعارضا بين الوطنية و العالمية^٢.

ب- الانفتاح على النماذج الإسلامية الأخرى:

تميزت تجربة النهضة بالانفتاح على التجارب الإسلامية الأخرى، كالتجربة السودانية مع تعاملها مع المرأة والجرأة في المراجعات، والتجربة المغربية في الفصل بين السياسي و الدعوي و إن كانت النهضة قد أقرته بخصوصية تونسية، من ذلك أنها أحالت العمل الدعوي إلى المجتمع المدني بدل أن تتخصص به في هيكل تنظيمي منفصل كما هو عليه الحال في المغرب، كما تأثرت النهضة بتجربة الإخوان المسلمين وأدبياتهم في فترة التأسيس و بداية التنظيم، وبنهج جماعة التبليغ و الدعوة في بداياتها، و أعادت صياغة أسباب تخلف الحضارات على ضوء ما توصل إليه المفكر الجزائري مالك بن نبي. كما شكلت الثورة الإيرانية رافدا من روافد التأثير لدى الحركة إذ أمدتها بالمفاهيم الاجتماعية الإسلامية التي كانت تفتقد إليها الحركة في الجامعات، كما جعلتها تنظر بطريقة إيجابية تجاه الثورة وموقفها من الحكم، في الوقت الذي كان ينظر فيه الإسلاميون التقليديون للثورة على أنها فتنة وخروج عن ولي الأمر.

^١ الغنوشي والترايبي، الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٣٢.

^٢ نقس المرجع، ص ٣٧.

ثانيا: نقد النقائص الفكرية

من بين هذه الحدود الفكرية، فقر الأدبيات وعدم الحسم في مسائل فكرية مهمة كالهوية الفكرية للحركة ومسألة الانتماء إلى حركة الإخوان المسلمين، فضلا عن اتساع الهوية الفكرية بين أعضاء الحركة:

أ- فقر الأدبيات

بالقاء نظرة سريعة على الكتب المؤصلة لأدبيات الحركة وأطروحاتها، يلاحظ مسألتي أساس، أولها شبه فردانية المؤصل فبخلاف الغنوشي والدكتور عبد المجيد النجار، وبعض الكتابات لسامي براهيم، رفيق عبد السلام، لا يعرف داخل الحركة خاصة في هذه المرحلة شخص يؤصل مفاهيمها ومواقفها. كما أن النهضة عاشت في الفترة الأخيرة تجربة حكم ومعاودة نشاط بعد الحضر وما رافق ذلك من سيولة في الأحداث وتطور في المسار، هذه المجريات السريعة لم يوكبها تأصيل من داخل الحركة. وعلى ما يبدو فإن الممارسة السياسة استهلكت الحركة وشغلتها حتى عن المسائل الثقافية الفكرية بعد أن كانت من أولوياتها قبل تولي السلطة.

ب- عدم الحسم في مسألة الانتماء إلى حركة الإخوان المسلمين

على الرغم من كون مصطلح الاخوة الذي يطلق عادة على حركة النهضة من قبل خصومها لا يراد منه توصيف تجربة تاريخية لها، بقدر ما يراد منه إحراج الحركة بربطها أولا بتيار خارجي وبالتالي القدح في وطنيتها، وهي التهمة التي حوكت بها النهضة في الثمانيات^١، فضلا عن الزج بالحركة شئت أم أبت في خندق مدرسة تعاني من المحاصرة الأمنية وهو ما قد يسحب الحال عليها في اعتقاد خصومها، على الرغم مما تقدم لم تحسم النهضة صراحة في هذه النقطة خاصة. فحينما نشأت الظاهرة الإسلامية في تونس كانت تتسم بالتعقيد والشمول، خصائص تبلورت على تاريخها بتعدد التجارب والتفريعات، منها ما جعل منها قريبة من الإخوان شكلا ومضمونا، وهو زاد في تعقيد الحسم في إخوانية الحركة، كما أنه في إحدى المقابلات التلفزيونية^٢، أجاب الغنوشي كرد على سؤال تضمن علاقته بجماعة الإخوان المسلمين: قائلا: " نحن ننتمي إلى الإسلام والأمة الإسلامية وإلى الحركة الإسلامية العالمية، ننتمي إلى تونس". وهي إجابة دبلوماسية، أملت عدة

^١ " الاتجاه الإسلامي وبورقية محاكمة من لمن، (حركة النهضة: سلسلة قطوف النهضة، ٢٠١١)، ص ١٥.

^٢ برنامج أصحاب السلطة، ٢٧ - ٢٠١٧:٢.

اعتبارات، خاصة منها تموقع الحركة في السلطة من جهة، وواقع جماعة الإخوان المسلمين في مصر من جهة أخرى، مما جعلها إجابة زبئية عارية من النفي والتأكيد.

ت-الفروق الفكرية داخل الحركة

إن كانت حركة النهضة تعرف بالنشاط والتصاق القيادات بالقواعد إلا أن تعرضها إلى خطر زاد عن عقدين من الزمن أحدث شرخا فكريا وتنظيميا داخلها، وإن استطاعت تلافي الهيكلية منه بإعادة التنظيم في فترة قياسية فإنها لم تكن بالمستوى ذاته على المستوى النظري، من ذلك أن المنتمين في الداخل خاصة من كان منهم داخل السجون، لم تسنح لهم الفرصة لتطوير أدبياتهم، عكس ما كان عليه حال منتمي الحركة في الخارج، وهو ما جعل الأولى تحتفظ بالخلفية الفكرية الإخوانية. كما أن هذه الشريحة في الحركة كانت من أشد المعارضين لمساراتها الجديدة وقد أطلق عليها التيار المحافظ، فعلى إثر المؤتمر العاشر كانت أغلب المواقف المعارضة للمنحى الجديد تتأتى منها.

كما أن تقديم حزب النهضة نفسه على أنه حزب مدني ذو مرجعية إسلامية، مسألة تطرح إشكالا عمليا بالغ التعقيد، إذ كيف سيتعامل الحزب مع هذه الخصوصية، أمام وضعية حزب مدني نظامه الأساسي لا يبحث في تكوين المنتمين الفكري، خاصة أن الحركة كانت قد تعرضت لمدة تزيد عن عشرين سنة للخطر وبالتالي الانقطاع عن جيل الشباب، أي المكون المستقبلي للحركة.

المطلب الثالث: المسألة السياسية

يعد الأداء السياسي لحركة النهضة من بين عوامل نجاح التجربة التونسية، فعلى الرغم من الظرفية المتأزمة التي كانت تتحرك فيها، استطاعت تقديم سياسة توافقية مرنة مدركة لخطورة الأوضاع التي تتحرك فيها، كما أن الممارسة السياسية كشفت حجم إخفاقات عائدة بالضرورة إلى افتقاد التجربة والمعرفة بخبايا الحكم وهو ما أضعف أدائها السياسي في ملفات عدة.

أولاً: تقييم الأداء السياسي للنهضة

لقد استطاعت حركة النهضة التوفق في قراءة و فهم طبيعة مرحلة ما بعد الثورة ، فعلى عكس من جماعة الإخوان المسلمين التي اعتبرت المرحلة مرحلة تمكين وهو ما جعلها تمارس الفعل السياسي باندفاع، كانت النهضة تكيف المرحلة على أنها مرحلة إصلاح^١، الأمر الذي جعلها تمارس الفعل

^١ لقاء مع عضو في المكتب المحلي لحركة النهضة في جرجيس عز الدين مسلم، بتاريخ ٨ / ٧ / ٢٠١٧.

السياسي بحذر مسكون بعدة اعتبارات لعل أهمها ادراكها أن الحكم لا يعني التمكن من مؤسسات الدولة ، التي لم يكن الفصيل الإسلامي عند نشأتها جزء من مكوناتها، بل بالعكس من ذلك كانت في مرحلة البناء ترى في التيار الإسلامي عدوها الأول، بسبب استخدام النظام العلماني أجهزة الدولة لضرب خصومه الإسلاميين و بالتالي كانت النهضة مقدره لخطورة هذه الاعتبارات ^١.

كما أن الأداء السياسي للحركة أمتاز بالمرونة، وهي مسألة عائدة بالدرجة الأولى إلى التحرر من (المعيار الأخلاقي) في تقييم الواقع ومشاكله، فالسياسية كما يقول الغنوشي لا تبني فقط على الأخلاق والمبادئ بين أيضا على المصالح^٢. وإن أكدت الحركة على المرجعية الإسلامية فهي لا تعتبر نفسها الممثل عن الإسلام ولا المتحدث باسمه بل أن مسارها مجرد تمثّل وقراءة له.

وفي الجانب نفسه، استطاعت الحركة الحسم في مسائل فكرية مازالت إلى الآن تشكل مباحث إشكالية لدى أغلب الجماعات الإسلامية وهو ما جعلها تتطلق نحو الفعل السياسي بأريحية أكثر، من بين هذه الإشكالات: مسألة الديمقراطية، المواطنة، العلمانية والتحالف مع العلمانيين. إن سياسة التحالفات التي انتهجتها الحركة سواء في حكومة الترويكا أو مع حزب النداء، أنقذت النهضة من التفرد في تحمل أعباء الأزمات الناتجة عن الحكم، إضافة إلى عدم التفرد في تحمل تركة النظام السابق، وبعثت من خلالها رسالة طمأنة إلى الداخل والخارج بأنها لا تسعى إلى التغول في الحكم، كما حالت سياسة التحالفات دون التسبب في عزلة الحركة خاصة بعد فقدانها مرتب الصدارة في انتخابات ٢٠١٤، كما مكنت سياسة التحالفات البلد من اجتياز الاستقطاب الإسلامي العلماني.

يأتي تركيز حزب حركة النهضة على العمل السياسي من فهم الواقع وأولويات المرحلة وهي من الدواعي التي أدت بالحركة إلى الفصل بين السياسي والدعوي، فمعركة الناس اليوم لم تعد معركة هوية ولا خيارات فكرية بقدر ما هي متطلبات واقع معيش متأزم اقتصاديا.

كما استطاعت النهضة إنقاذ المسار الديمقراطي والحفاظ على التجربة التونسية التي كانت تتربص بها قوى الثورة المضادة المعادية لكل ما هو إسلامي في السلطة، خاصة أنها كانت تتحرك في بيئة أزمات مسكونة بالانقلابات العسكرية، لكنها اتجهت نحو التضحية بالسلطة والمصلحة الحزبية

^١ يقول عبد الفتاح مورو في لقاء تلفزيوني على الجزيرة مباشر بتاريخ: ١٢ ماي ٢٠١٦ " إن مؤسسات البلد لم نضعها نحن، بل صاغها من قبلنا، وهي قائمة على ما صيغت عليه قبل ٣٠ سنة:

<https://youtu.be/Xn8myUr0Is0>

^٢ الغنوشي والتراي، كتاب الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٣٩.

لصالح إنقاذ المسار الديمقراطي الذي كان يعيش أزمة بعد سلسلة اضطرابات واغتيالات، وبذلك تصدرت تونس المرتبة الأولى عربياً من ناحية الدول الأكثر ديمقراطية والأسرع نحو مسارها الديمقراطي.^١

وقد تميزت تجربة الإسلاميين في السلطة في تونس بالانفراد عن بقية التجارب الإسلامية في المنطقة، إذ استطاعت أن تحسم خلافاتها الإيديولوجية مع حلفائها العلمانيين الذين كونت معهم تحالفا قاد البلاد في المرحلة الانتقالية، كما حسمت خلافاتها مع خصومها في المجلس التأسيسي وتوافقت على دستور مر بتونس إلى مرحلة الجمهورية الثانية وهو حدث تاريخي يحسب لها.

ثانياً: نقد الممارسة السياسية للنهضة

أ- تعارض الممارسة السياسية مع الهوية الفكرية

إن من أهم الصعاب التي تواجه الباحث في الجماعات الإسلامية تمييز الموقف من الفعل السياسي^٢، وبالفعل في حالة حركة النهضة تبدو المسألة معقدة في مواقع كثيرة، لأن الممارسة السياسية بدت في أكثر من مرة تتجه ضد أدبيات الحركة، أو يمكن القول أن الحركة تعمل عكس قناعاتها، وهو ما يعطي انطباعاً أن استجابتها لضغوط الواقع شبه تامة، فبعد أن كانت قبل السلطة تسائل عن كيفية تطويع الواقع لخدمة مشروعها^٣، أصبح الواقع يفرض إكراهاته عليها.

في هذا السياق ذاته يطرح السؤال عن توقيت الإعلان عن الفصل بين السياسي و الدعوي ، فإن كان المقصود بالفصل تخصيص ذراع سياسي مستقل عن الحركة فإن حركة النهضة منذ ٢٠١١ تمارس السياسة عبر حزب مدني احتكم إلى الشروط القانونية في النشأة ، و أخذ بآليات الديمقراطية في الفعل السياسي، سواء في مسألة خوض الانتخابات أو على مستوى ممارسة السلطة ، وهو ما قد يرجع عامل الإكراهات السياسية خاصة الخارجية منها كدافع أساسي وراء هذه الخطوة بغية درأ مظنة الإسلام السياسي التي باتت تشكل ذريعة لتدخل القوى الغربية في المنطقة، علاوة على

^١ مؤشر الديمقراطية: "تونس الأولى عربياً و ٦٩ عالمياً"، موقع العرب ٤٨، نشر بتاريخ ٣١-١-٢٠١٨:

<https://www.arab48.com>.

^٢ محمد المختار الشنقيطي، "الحركة الإسلامية في السودان " ص ٧٠.

^٣ الغنوشي، الحركة الإسلامية والتحديث، ص ٤٠.

الضغوط التي تمارس على حركات إسلامية لم يعتد الغرب التعامل معها كسلطة سياسية، حركات ينظر إليها بعين الريب والترقب، وهو ما يجعلها تتحو نحو تقديم ضمانات تنازلات أكثر.

منح يؤكد نظرية أن السلطة من أهم عوامل تطور إن لم نقل " ترويض " الحركات الإسلامية، وبالتالي حق التساؤل عن العوامل الحقيقية والأكثر فعالية في تطور الحركات الإسلامية، فهي المراجعات التي تجريها على أدبياتها الفكرية، أم إكراهات الواقع ومعطياته، أم أن الواقع في حد ذاته بات من أهم مصادرها، خاصة أمام تغير التوقعات من المعارضة إلى السلطة، وفي خضم سياق الإكراهات والتنازلات هذا، حق التساؤل عن ملامح المشروع الإسلامي الذي أكدت عليه الحركة في مرجعها، إذ باتت شبه فاقدة للهوية الإسلامية.

كما اتسمت مواقف النهضة بالتقلب وعدم الثبات تجاه مسائل كانت تعتبرها مبدئية^١ لعل أهمها التطبيع التام مع النداء، لا فقط على مستوى التحالف بل المواقف والرؤى، فبعد أن كانت الحركة تدعو إلى القطع مع حقبة النظام القديم وترى فيه أكبر مهدد لمكاسب الثورة، أصبحت اليوم في تحالف انسجام تام معه.

بدورة تحالف الترويك، أثرت حوله عدة مآخذ حيث اعتبره البعض مجرد تحالف صوري، يفتقد إلى التنسيق وهو ما تسبب في أدائه المرتبك^٢، ولعل قضية تسليم محمود البغدادي إلى ليبيا دون العودة إلى رئيس الجمهورية الذي كان يعتبر رئيساً دون صلاحيات^٣، لهي أبرز الدلائل على ذلك، حتى أن منصف المرزوقي بدوره ذكر في برنامج شاهد على العصر أن علاقته مع حمادي الجبالي رئيس الحكومة لم تكن على ما يرام^٤.

كما يعاب على أداء النهضة في السلطة اتسامه بالضعف ونقص الخبرة، على الرغم من أن الحركة تسلمت السلطة في بيئة مناوئة^٥، تحملت فيها أخطاء سياسات فاشلة لحكومات سابقة^٦، إضافة إلى

^١ دعت حركة النهضة إلى القطع مع التجمع في بدايات الثورة واعتبرته سبب بلاء تونس

^٢ الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، مجموعة كتاب، ص ٥٧٨.

^٣ توفيق المديني، تاريخ المعارضة، ص ٤٩٢.

^٤ شاهد على العصر، مع منصف المرزوقي، الحلقة ١١، بثت بتاريخ: ٢٠١٧/٦/١١.

^٥ <https://youtu.be/JnDBYIR4rZg>.

^٥ برنامج للحكاية بقية قناة الجزيرة، ٢٩ / ١ / ٢٠١٨.

^٦ المقصود بها حكومة الباجي والتي بلغ فيها حجم الدين الخارجي مستويات قياسية.

تركة فساد ضخمة من نظامين متعاقبين، على الرغم من هذه المخاطر لم تدخل النهضة إصلاحات هيكليّة على الاقتصاد التونسي، حتى لا تثير ضدها رجال الأعمال.^١ من ذلك، أنها لم تراعي مسألة التمرس والخبرة في تعيين المسؤولين في مناصب حساسة وفي فترة حرجة من تاريخ البلاد، فبدل تقديم ذوي الخبرة والتجربة، دفعت بأبنائها بتعلة أنهم خريجو نفس الجامعات التي تخرج منها غيرهم^٢، وهو ما يعكس عدم معرفة بخبايا الحكم انعكس سلبا على أدائها السياسي في ملفات هامة، مما تسبب في تدني شعبيتها بعد الانتخابات ٢٠١٤، والقول بأنها حركة تصلح للمعارضة لا لسلطة.

إن وصول الإسلاميين إلى السلطة لهو بمثابة اختبار لمقولاتهم وشعاراتهم خاصة ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي، إن فشل الممارسة السياسية سيكون له تأثير سلبي على مصداقية المشروع الإسلامي ونجاعته كخيار بديل، وهو ما يفسر تراجع النهضة في الانتخابات الثانية.

كما لم يرقى الأداء السياسي لحركة النهضة فيما يخص التعاطي مع الثورة إلى تطلع الشباب الذي علق عليها آمالا في الانتخابات الأولى، كونها صاحبة الرصيد النضالي الأكبر ضد نظام بن علي^٣، حيث تخلفت عن قانون تحصين الثورة، وقانون محاسبة الفاسدين، مما تسبب في شعور عام بالإحباط تجاه هذا الملف، كما كانت هذه المسألة من أسباب انتهاء التحالف مع أصدقاء الأمس أي تحالف الترويكا.

^١ من ذلك أنها عارضت قانون محاسبة الفاسدين.

^٢ الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، مجموعة كتاب، ص ٥٨١.

^٣ المدني، تاريخ المعارضة التونسية، ص ٤٤١.

الخاتمة:

تعتبر تجربة حركة النهضة من التجارب التي عرفت مساراً تطورياً شديداً العمق، فعلى غرار بقية الحركات الإسلامية نشأت النهضة في بداياتها كحركة احتجاج ومعارضة للنظام والوضع القائم آنذاك، سياق سياسي واجتماعي وفكري أُملى عليها بدرجة أو ما جملة من الخيارات والتوجهات التي أوضحت موضع مراجعة وتقييم، بسبب فعل الزمان وتغير التوقعات من المعارضة (الاحتجاج) إلى السلطة.

كما عرفت الحركة في بداياتها بالشمول والعفوية وغياب البرامج فضلاً عن التردد على تجارب عدة كتجربة أهل التبليغ والدعوة في بداياتها وتجربة جماعة الإخوان المسلمين، إضافة إلى تعدد الروافد الفكرية كالأدبيات المشرقية في فترة مبكرة ثم فكر مالك بن نبي وحسن الترابي، وهو ما مكنها من صياغة بنية فكرية عميقة ومنفتحة تبلورت خصائصها في طرق فهم وتمثل عدة قضايا ومفاهيم إشكالية لدى الإسلاميين، مفاهيم أخضعتها للتفكيك وإعادة التركيب فتبنت على إثرها مواقف مغايرة للتوجهات القائمة كالموقف من الديمقراطية والمواطنة فضلاً عن العلمانية، وهو ما أسهم في بلورة مشروع إسلامي بتصورات جريئة للمفاهيم والقضايا.

كذلك مر الهيكل التنظيمي لحركة النهضة بأربع محطات هامة إذ تميزت مرحلة الجماعة الإسلامية بانفتاح التنظيم والتركيز على العمل الدعوي والخطاب البيداغوجي الذي يستهدف رد الاعتبار للهوية الإسلامية، لكن وبالصدام مع النظام اتجه الشباب الإسلامي إلى التنظيم السري على الطريقة الإخوانية، حيث أسهمت أساليب العمل في هذه الفترة في تركيز نواة قاعدية صلبة داخل المجتمع سيكون لها دور فاعل في إعادة بعث التنظيم بعد فترة الانقطاع، ومع انكشاف التنظيم والصدام مرة أخرى عند أجهزة الدولة اتجهت حركة النهضة إلى تقنين أطرها عبر الإعلان عن نفسها كحزب سياسي أخضع هيكله للمحددات والشروط القانونية في النشاط غير أن ذلك لم يشفع دون مساعي النظام في حضرها، وفي المؤتمر العاشر الذي يعتبر من المؤتمرات المفصلية في تاريخ الحركة أعلنت النهضة الفصل بين السياسي و الدعوي على أساس معايير التخصص الوظيفي كما قدمت نفسها على أنها حزب مدني ذو مرجعية إسلامية ينحصر نشاطها على الممارسة السياسية وهو أمر

عائد بالضرورة إلى سياق الإكراهات الذي مرت به خلال تجربة الحكم خاصة مناخ الثورات المضادة الذي هيمن على دول الربيع العربي.

إن المسار التطوري الذي شهدته الحركة سواء على المستويين الهيكلي والفكري انعكس على أدائها السياسي، حيث قدمت أداء سياسيا ممتاز بالمرونة سواء في مرحلة صياغة الدستور حيث تنازلت عن بند تضمين الشريعة كمصدر من مصادر التشريع، كذلك في مستوى التحالف مع العلمانيين سواء في حكومة الترويكا ثم في حكومة النداء هو ما حال دون عزلة الحركة داخل الساحة السياسية.

ويمكن الخلاصة أيضا إلى أن المشاركة السياسية في السلطة من أكبر عوامل تطور الحركة الإسلامية في تونس، فالتوقع الجديد أملى عليها جملة إكراهات ومراجعات انساقت فيها بدرجة أو ما، وهو ما يدفع للتساؤل عن ملامح المشروع الإسلامي للإسلاميين في السلطة، فبعد إن كانت برامجه من العوامل التي دفعت بهم للدخول في السياسية أصبحت هذه الأخيرة عامل إكراه يدفع نحو التنازل عن بعض أو كثير من أطروحاته.

إن الأداء السياسي لحركة النهضة وإن امتاز بالمرونة والقدرة على التعاطي مع الأزمات في ملفات عدة، إلا أنه يجابه بالنقد في عدة مسائل والنقائص في عدة مواطن وهو أمر عائد بالضرورة إلى مشاكل متعلقة بالهيكل التنظيمي مازالت تعاني منها الحركة فضلا عن نقص التجربة وضعف الأداء وهو ما يفسر تراجعها في ثاني انتخابات بعد الثورة، كما أن هذا الانحسار سيكون له تأثير سلبي على صدقية المشروع الإسلامي الأمر الذي يبرهن في عمومته أن الواقع خير ساحة لاختبار مقولات الإسلاميين النظرية.

الملاحق

ملحق رقم (١) البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي

بتاريخ ٦-٦-١٩٨١

توطئة

يشهد العالم الإسلامي . وبلادنا جزء منه . أبشع أنواع الاستلاب والغربة عن ذاته ومصالحه فمنذ التاريخ الوسيط وأسباب الانحطاط تفعل فعلها في كيان امتنا وتدفع بها إلى التخلي عن مهمة الريادة والإشعاع، طوراً لفائدة غرب مستعمر وآخر لصالح أقليات داخلية متحكمة انفصلت عن أصولها وصادمت مطامح شعوبها.

وكان المستهدف الأول طوال هذه الأطوار كلها هو الإسلام، محور شخصيتنا الحضارية وعصب ضميرنا الجمعي. فقد عزل بصورة تدريجية بطيئة، وأحياناً بشكل جريء سافر عن مواقع التوجيه والتيسير الفعلي لواقعنا. فهو رغم بروزه عاملاً محدداً في صنع الجوانب المشرقة من حضارتنا وفي جهاد بلادنا لطرد المستعمر، قد بات اليوم أو يكاد مجرد رمز تحدّق به المخاطر ثقافياً وأخلاقياً وسياسياً نتيجة ما تعرض له في المرحلة المعاصرة والأخيرة خاصة من إهمال واعتداء على قيمه وعلى مؤسساته ورجاله.

وإضافة إلى هذه المعطيات الحضارية التي تشترك فيها بلادنا مع سائر بلاد العالم الإسلامي، عرفت تونس في أواخر الخمسينات وطيلة عشريتي الستينات والسبعينات . رغم حصولها على وثيقة الاستقلال-أوضاعاً خصوصية اتسمت بالتأزم واحتداد الصراع الاجتماعي وتعطل سبل النمو الشامل. وقد تكرّس هذا الوضع نتيجة أحادية الاتجاه السياسي المتحكم "الحزب الدستوري" وتدرّجه المتصاعد نحو الهيمنة على السلطة والمؤسسات والمنظمات الجماهيرية من ناحية، ونتيجة ارتجالية الاختبارات الاقتصادية والاجتماعية وتقلبها وارتباطها بمصالح دولية تتعارض مع مصالح شعبنا الوطنية من ناحية أخرى.

في هذا المناخ ظهر الاتجاه الإسلامي بتونس في بداية السبعينات بعد أن توفرت له كل أسباب الوجود، وتأكّدت ضرورته، وقد ساهم هذا الاتجاه من مواقعه في إعادة الاعتبار للإسلام فكراً وثقافة وسلوكاً، وإعادة الاعتبار للمسجد. كما ساهم في تنشيط الحياة الثقافية والسياسية فأدخل عليها لأول مرة نفساً جديداً في اتجاه تأصيل الهوية والوعي بالمصلحة وتأكيد التعدد بتجسيمه واقعياً.

وقد عبر الاتجاه الإسلامي من خلال نشاطه ومواقفه العديدة عن التحامه بذات أمته وتجسيده آمال شعبه وتطلعاته فالتفت حوله قطاعات عريضة من المحرومين والشباب والمتقنين. وكان نموه السريع

مجلبة لاهتمام الملاحظين وترصد القوى والأنظمة السياسية في الداخل والخارج. ورغم سعيه الرصين المتعقل لتلمس أنجع سبل التطور والتغيير فقد تعرّض هذا الاتجاه إلى سلسلة من التهم الباطلة والحملات الدعائية المغرضة نظمتها ضدّه السلطة الحاكمة ووسائل الإعلام الرسميّة وشبه الرسمية، بلغت هذه الحملات حد الاعتداء تعسفا على وسائل إعلامه قصد منعه من إبلاغ صوته وتطورت بعد ذلك إلى أشكال أشد قهرا فقدمت عناصره إلى المحاكمات وتكتفت ضد أفراد التتبعات والتحقيقات وفتحت أمام شبابه السجون والمعتقلات حيث الضرب والتعذيب والإهانة.

إن استمرار أسباب تخلف الوضع السياسي والاقتصادي والثقافي في مجتمعنا يرسخ لدى الإسلاميين شعورهم المشروع بمسؤوليتهم الربانية الوطنية والإنسانية في ضرورة مواصلة مساعيهم وتطويرها من أجل تحرير البلاد الفعلي وتقدمها على أسس الإسلام العادلة وفي ظل نهجه القيم.

وقد يذهب البعض إلى أن هذا العمل هو من باب إقحام الدين في دنيا السياسة وأنه مدخل إلى احتكار الصفة الإسلامية ونفيها بالتالي عن الآخرين. إن هذا الفهم فضلا عن كونه يعبر عن تصور كنسي دخيل على ثقافتنا الأصلية يكرس استمرارية "حديثه" لواقع الضياع التاريخي الذي عاشته أمتنا.

على أن "حركة الاتجاه الإسلامي" لا تقدم نفسها ناطقا رسميا باسم الإسلام في تونس ولا تطمح يوما في أن ينسب هذا اللقب إليها. فهي مع إقرارها حق جميع التونسيين في التعامل الصادق المسؤول مع الدين، ترى من حقها تبني تصور للإسلام يكون من الشمول بحيث يشكل الأرضية العقائدية التي منها تنبثق مختلف الرؤى الفكرية والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدد هوية هذه الحركة وتضبط توجهاتها الاستراتيجية ومواقفها الظرفية. وبهذا المعنى تكون "حركة الاتجاه الإسلامي" واضحة الحدود محددة المسؤولية غير ملزمة بكل صنوف التحركات والمواقف التي قد تبرز هنا وهناك. إلا ما يقع تبنيه منها بصورة رسمية. مهما أضفى أصحاب هذه التحركات على أنفسهم من براقع التدين ورفعوا رايات الإسلام.

وتأكيدا لهذا الوضع من ناحية، وتكافؤا مع جسامه المهمة ومقتضيات المرحلة من ناحية أخرى، فإنه يتعين على الإسلاميين دخول طور جديد من العمل والتنظيم يسمح لهم بتجميع الطاقات وتوعيتها وتربيتها وتوظيفها في خدمة قضايا شعبنا وأمتنا. ولا بد هذا العمل أن يكون ضمن حركة مبلورة الأهداف مضبوطة الوسائل ذات هياكل واضحة وقيادات ممثلة.

إن "حركة الاتجاه الإسلامي" التي حالت بينها وبين جماهيرها المسلمة العريضة ظروف القهر والإرهاب، لتأمل أن تكون مساهمة جماهيرها أعمق وأشمل في مستقبل الأيام.

المهام

تعمل هذه الحركة على تحقيق المهام التالية:

أ . بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلal.

ب . تجديد الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.

ج . أن تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيدا عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية.

د . إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعا عادلا على ضوء المبدأ الإسلامي "الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته" أي (من حق كل فرد أن يتمتع بثمار جهده في حدود مصلحة الجماعة وأن يحصل على حاجته في كل الأحوال) حتى تتمكن الجماهير من حقها الشرعي المسلوب في العيش الكريم بعيدا عن كل ضروب الاستغلال والدوران في فلك القوى الاقتصادية الدولية.

هـ . المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي حتى يتم إنقاذ شعوبنا والبشرية جمعاء مما تردت فيه من ضياع نفسي وحيف اجتماعي وتسلط دولي.

الوسائل

لتحقيق هذه المهام تعتمد الحركة الوسائل التالية:

—إعادة الحياة إلى المسجد كمركز للتعبد والتعبئة الجماهيرية الشاملة أسوة بالمسجد في العهد النبوي وامتداد لما كان يقوم به الجامع الأعظم، جامع الزيتونة، من صيانة للشخصية الإسلامية ودعمها لمكانة بلادنا كمركز عالمي للإشعاع الحضاري.

—تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، من ذلك: إقامة الندوات، تشجيع حركة التأليف والنشر، تجذير وبلورة المفاهيم والقيم الإسلامية في مجالات الأدب والثقافة عامة وتشجيع البحث العلمي ودعم الإعلام الملتزم حتى يكون بديلا عن إعلام الميوعة والنفاق.

—دعم التعريب في مجال التعليم والإدارة مع التفتح على اللغات الأجنبية.

—رفض العنف كأداة للتغيير، وتركيز الصراع على أسس شوروية تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.

- رفض مبدأ الانفرد بالسلطة "الأحادية" لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان وتعطيل لطاقت الشعب ودفع للبلاد في طريق العنف. وفي المقابل إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.
- بلورة مفاهيم الإسلام الاجتماعي في صيغ معاصرة وتحليل الواقع الاقتصادي التونسي حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.
- الانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صرايحهم مع المستكبرين والمترفين.
- دعم العمل النقابي بما يضمن استقلاله وقدرته على تحقيق التحرر الوطني بجميع أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية.
- اعتماد التصور الشمولي للإسلام، والتزام العمل السياسي بعيدا عن اللائكية والانتهازية.
- تحرير الضمير المسلم من الانهزام الحضاري إزاء الغرب.
- بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الإسلامي بما يضمن طرح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والعقائدي والموضوعي مغربيا وعربيا وإسلاميا وضمن عالم المستضعفين عامة.
- توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافة: في تونس وعلى صعيد المغرب والعالم الإسلامي كله.
- دعم ومناصرة حركات التحرر في العالم.

ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان التأسيسي لحركة النهضة

تونس في ٠٧ فيفري ٢٠١١

تعاقبت على بلادنا تجارب حضارية كبرى ساهمت في تشكيل هويتها الوطنية حتى جاء الإسلام بثقافته الانسانية الكونية فاستوعب هذه الحضارات وصهر ما تحمله من عناصر الحق والخير والجمال حتى تشكلت الشخصية الوطنية وأضحى الإسلام والعروبة من أهم مقوماتها ومثلا في تاريخ بلادنا عاملا وحدة واستقرار وتطور وكانا وقود معركتها ضد الاستعمار وقد جاءت الدولة القطرية بقيادة بورقيبة لتكرس نمطا من الحكم أبرز سماته المفاصلة مع الهوية الوطنية للشعب وتهميش دور الإسلام واللغة العربية فيها ومحاولة عزل البلاد عن محيطها العربي والإسلامي وتكريس نظام يقوم على احتكار أقلية تغريبية للسلطة بما وفر أرضية خصبة للاستبداد والحكم الفردي المطلق، وكان نظام بن علي امتدادا لنفس تلك الخيارات فدعم الحكم الشمولي وهيمنة البوليس السياسي على هياكل الدولة والمجتمع ووفر أرضية خصبة لاستئثار الفساد والمحسوبية بما حرم أغلبية أبناء الشعب وعددا من الجهات وخاصة الداخلية منها من حقها المشروع في التمتع بخيرات البلاد وثرواتها وبما عمق غياب الشفافية والعدل والإنصاف كما حرم قطاعات واسعة من شباب تونس من التمتع بحقها في تعليم راق وعصري وشغل قار وكريم وإمكانية التدرج في السلم الوظيفي علاوة على مصادرة حق الجميع في حرية التفكير والتعبير والتنظم والمشاركة في الحياة العامة.

وحركة النهضة إذ تتقدم اليوم في ظل سيادة ثورة الشعب وعلو قيمة الشهادة والتضحية بالنفس دفاعا عن الحرية والحق والعدل والكرامة بطلب تمكينها من حقها المشروع في العمل القانوني، وبعد أن شاركت أبناء شعبها نضالهم ضد الاستبداد والفساد ودفعت من أجل ذلك وفي كل الجهات كثيرا من التضحيات التي يشهد عليها عشرات الشهداء وآلاف المساجين من مختلف الأجيال تتوجه بالتحية والإكبار إلى شعبها الأبى وشبابه الثائر من بنزرت إلى بنقردان وخاصة أحرار سيدي بوزيد والقصرين وقبلي والكاف وتالة والرقاب وجبنيانة وصفاقس وفرنانة ودوز وجرجيس وغيرهم في كل شبر من أرض بلادنا الحبيبة ممن ضمخوا تراب تونس بدمائهم الطاهرة الزكية وتترحم على الشهداء الأبرار وتحسب نضال بناتها وأبنائها وتضحياتهم عند الله سبحانه وتعالى تؤكد أن تحرير الأوطان من الاستعمار المباشر ومن الاستبداد والتبعية واجب مقدس لا يقدر بثمن.

وحركة النهضة تعتبر نفسها امتدادا لمدرسة الإصلاح الشامل الذي عرفته بلادنا وجسدته مشاريع الإصلاح الدستوري والسياسي والاجتماعي والثقافي وحركة النضال ضد التبعية والاستعمار من خير الدين التونسي وبيرم الخامس وسالم بوحاجب وعبد العزيز الثعالبي ومحي الدين القليبي ومحمد الخضر حسين والشيوخ محمد الطاهر ومحمد الفاضل بن عاشور وعبد العزيز جعيط وأحمد بن ميلاد وغيرهم من علماء تونس الأجلاء.

كما تعمل حركتنا على حفظ كيان الأسرة عبر تقديس الرابطة الزوجية ورعاية الطفولة ومعالجة المظاهر السلبية المتفاقمة الناجمة عن اتساع دائرة العزوف عن الزواج وارتفاع عدد قضايا الطلاق وتدني نسبة النمو الديمغرافي.

وتعتبر حركة النهضة القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة وتلتزم بدعمها والعمل على المساهمة الجادة في نصرتها ومناهضة كل تطبيع مع الكيان الصهيوني كما تدعم الحركة الوحدة المغاربية كخطوة أولى نحو الوحدة العربية الإسلامية الشاملة وهي تساند حق كل الشعوب في تقرير مصيرها وترفض كل أشكال الوصاية والاستعمار.

وحركة النهضة التي تشق طريقها للمساهمة الفاعلة في إنهاء مخلفات مرحلة القهر والاستبداد التي عانى منها شعبنا طوال عقود تقدر الدور الذي لعبه شباب تونس في الثورة المباركة التي أنهت الحكم القائم على الإقصاء والاستبداد والفساد وفتحت الأبواب أمام إعادة صياغة مجمل البناء السياسي بما يساهم في حل المعضلات ورفع العوائق التي تواجه تنمية بلادنا وتطويرها وتحديثها في إطار تفاعل خلاق بين مقومات هويتنا العربية الإسلامية ومكتسبات العصر وإنجازات الإنسانية.

هذه حركة النهضة تشق طريقها في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ بلادنا بالاشتراك مع كل القوى الوطنية بدون استثناء ولا إقصاء متكلمة على ربها وكلها ثقة في قدرة شعبها وشبابه المكافح على العطاء والإبداع بما يؤهله لمواجهة التحديات الآجلة والعاجلة وتحقيق طموحاته المشروعة في العدالة والحرية والكرامة والاستقلال الوطني في ظل نظام سياسي ديمقراطي وحديث.

إنها مرحلة جديدة تقبل عليها البلاد وتقبل عليها الحركة آملة أن تقدّم إسهاماتها الجدية في نحت معالم مجتمع متحضر تسوده الحرية والعدالة.

والله من وراء القصد

قائمة المراجع

• الوثائق:

- البيانات الصادرة عن حركة النهضة:
- البيان التأسيسي لحركة النهضة والصادر بتاريخ ٧-٢-٢٠٠١.
- البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي، ٦ جوان ١٩٨١.
- بيان صادر بتاريخ: ١٨ / ٩ / ٢٠١٠.
- بيان صادر بتاريخ: ٩ جانفي ٢٠١١.
- بيان صادر بتاريخ: ١٦ جانفي ٢٠١١.
- لوائح المؤتمر العاشر لحركة النهضة، الحمامات ١٠. ٢١ و ٢٢ مايو. ماي ٢٠١٧،
- اللائحة الفكرية والمنهج الأصولي.
- رسالة المؤتمر الخامس لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

• الكتب

- ١-أنور الجمعاوي، "المشهد السياسي في تونس، الدرب الطويل نحو التوافقات، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (٢٠١٣).
- ٢-بلال التليدي، مراجعات الإسلاميين، (بيروت: دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٣).
- ٣-توفيق المديني، "تاريخ المعارضة التونسية من النشأة إلى الثورة، الأحزاب القومية واليسارية والإسلامية " (تونس: دار مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠١٢).
- ٤-حمة الهمامي، ضد الظلامية "الاتجاه الإسلامي، حركة النهضة ... أم حركة انحطاط"، (تونس: صامد للنشر والتوزيع، ط ٣ - ١٩٨٩).
- ٥-خير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام"، (القاهرة: دار العلم للملايين، ط١٥-٢٠٠٢).
- ٦-صالح كركر، "الحركة الإسلامية وإشكاليات النهضة"، (فرنسا، ط١-١٩٩٨).
- ٧-عبد القادر زعل، آمال موسى، "حركة النهضة بين الإخوان والتونسة"، (تونس: معامل الطبعة، ط١، ٢٠١٤).

- ٨-عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات).
- ٩-عليه العلاني، "الإسلاميون التونسيون من المعارضة إلى الحكم، النشأة - التطور - الآفاق" (صفاقس: طباعة نوافبرنت، ط ١ - ٢٠١٤).
- ١٠-عبد اللطيف الهرماسي، الحركة الإسلامية في تونس، اليسار الاشتراكي، الإسلام والحركة الإسلامية، (تونس، بيرم باشا، ط ١، ١٩٨٥).
- ١١-عبد المنعم منيب، "دليل الحركات الإسلامية"، (القاهرة: مكتبة مدبولي - ٢٠١١).
- ١٢-راشد الغنوشي وحسن الترابي، "الحركة الإسلامية والتحديث"، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤).
- ١٣-راشد الغنوشي، "مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١).
- ١٤-راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ٣، ٢٠١١).
- ١٥-راشد الغنوشي، "من الفكر الإسلامي في تونس"، (الكويت: دار القلم، ط ٢).
- ١٦-راشد الغنوشي، "الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٥).
- ١٧-راشد الغنوشي، "العلمانية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة"، (تونس: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٦).
- ١٨-راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١).
- ١٩-راشد الغنوشي، "المرأة بين القرآن وواقع المسلمين"، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، الطبعة ٢، ٢٠١٥).
- ٢٠-راشد الغنوشي، "إرهاصات الثورة"، (تونس: دار المجتهد للنشر، ط ٢، ٢٠١٥).
- ٢١-ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمين، (ترجمة عبد الله رضوان)، (القاهرة: مكتبة المدبولي الصغير، ١٩٧٧).
- ٢٢-عزمي بشارة، ثورة تونس المجيدة، بنية الثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، (الدوحة: المركز العربي).
- ٢٣-فتحي ليسر، معجم الثورة التونسية، (تونس: دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠١٢).

- ٢٤-فتحي يكن، "المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين" (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨).
- ٢٤-فتحي يكن، "المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين" (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨).
- ٢٥-فريد الأنصاري، البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية"، (سلسلة: من القرآن إلى العمران).
- ٢٦-لطفی العمدونى، "شهداء النهضة، من أجل الهوية والحرية والكرامة في تونس (تونس: ميارة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦).
- ٢٧-لطفی العمدونى، "تاريخ الحركة الإسلامية في تونس، أطوار من النشأة والمحاكمات السياسية الكب رى ١٩٦٥ - ١٩٨١"، (تونس - ٢٠١٥).
- ٢٨-مبروك عائشة، حركة النهضة والديمقراطية، (تونس: دار المتوسط للنشر، ط١، ٢٠١٥).
- ٢٩-محمد القوماني، "المقدمات النظرية للإسلاميين التقدميين، لماذا الإسلام وكيف نفهمه"، (تونس: دار البراق للنشر، ط١، ١٩٨٩).
- ٣٠-عصام عبد الشافي، "واقع الأمة"، (مصر: التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان، العدد ١٠، ٢٠١٣).
- ٣١-صلاح الدين الجورشي، "الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي"، (الكويت: مكتبة أفاق، ط٣، ٢٠١٣).
- ٣٢-أنور الجمعاوي، "الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي - اتجاهات وتجارب (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٣).
- ٣٣-حميدة نيفر، "من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة، الإسلاميون في تونس، مسيرة ألم وأمل"، (تونس: سلسلة كتاب الإصلاح، ط٣، ٢٠١٥).
- ٣٤-لطفی طرشونة، "ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٢).
- ٣٥-محمد أسعد بيوض التميمي، "واقعا وأخطر أحداث القرن العشرين"، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨).
- ٣٦-محمد الطاهر بن عاشور، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، (عمان: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط٢، ٢٠٠١).
- ٣٧-محمد الطاهر بن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١).

- ٣٨- محمد المختار الشنقيطي، "الحركة الإسلامية في السودان"، (لندن: دار الحكمة، ط ٢، ٢٠٠٢).
- ٣٩- محمد مختار القلاي، الطاهر بن يوسف، "الثورة المضادة في تونس الباجي قائد السبسي نموذجاً"، (تونس ٢٠١٢).
- ٣٩- منذر بالضيافي، "الإسلاميون والحكم، تجربة حركة النهضة في تونس، بين استحقاقات الثورة ومتطلبات الدولة"، (تونس: دار ورقة، ط ١، ٢٠١٤).
- ٤٠- يحيى أبو زكريا، "الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبى إلى الغنوشى (دار النشر الإلكترونية ناشري، ٢٠٠٣).
- ٤١- يوسف الحناشي، الإسلام السياسى فى تونس (النشأة والانبعاث)، (تونس: ط ١، ٢٠١٢).
- ٤٢- يونس الحاج يونس، "الطاغية بن علي وحركة النهضة"، (تونس: المكتبة الوطنية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث - ٢٠١١).

• المقالات

- ٤٣- عادل الثبتي، "تونس ثورة تبحث عن تحقيق أهدافها"، رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - ستا - عدد ربيع ٢٠١٤).
- ٤٤- بشير الجويني، "الانتقال الديمقراطي في تونس، دستور الجمهورية الثانية وتحديات الصياغة"، رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - ستا - عدد ربيع ٢٠١٤).
- ٤٥- رمضان يلدرم، "الدستور يتوج ثورة تونس" رؤية التركية، (استنبول: مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - ستا - عدد ربيع ٢٠١٤).

• الرسائل العلمية

- ٤٦- أسماء قسطلالي وفاطمة الزهراء بو زيان، النضال السياسى والنقابى فى تونس (١٩٤٦-١٩٥٦)، رسالة ماستر، جامعة الجيلاني بونعامة، الجزائر، ٢٠١٧.
- ٤٧- رائد دبعبى، أساليب التغيير لدى السياسى لدى حركات الإسلام السياسى بين المفكر الممارسة " الإخوان المسلمين فى مصر نموذجاً"، رسالة ماستر، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٢.

٤٨- نغم محمد صالح، "الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب، تونس، الجزائر)"، رسالة دكتوراه، (الخرطوم: الجنان للنشر، ط ١، ٢٠١٠).

• المقابلات الشخصية

٤٩- مقابلة مع رئيس مكتب حركة النهضة المحلي بجرجيس السيد عبد الله بلهيبه، بتاريخ ٣٠ / ٦ / ٢٠١٧.

٥٠- لقاء مع عضو في المكتب المحلي لحركة النهضة في جرجيس عز الدين مسلم، بتاريخ ٨ / ٧ / ٢٠١٧.

٥١- لقاء مع الأكاديمي والقيادي في حركة النهضة الدكتور رفيق عبد السلام على إثر مؤتمر الشرق الأوسط والسياسات في جامعة سكاريا بتاريخ ١٢ / ١٠ / ٢٠١٦.

• مصادر أخرى

- الحلقة ٢ من برنامج شاهد على العصر مع عبد الفتاح مورو، (قناة الجزيرة) بثت بتاريخ ٤/٥ / ٢٠١٥:

<https://youtu.be/CjN68q6xX1>

- الحلقة ٣ من برنامج شاهد على العصر مع الشيخ عبد الفتاح مورو، بثت بتاريخ، ١٩/٥/٢٠١٥: <https://youtu.be/nLwl05WQejQ>

- الحلقة ٤ من برنامج شاهد على العصر مع مورو، بثت بتاريخ، ٢٦/٥/٢٠١٥:

<https://youtu.be/EvfKPsJTrtE>

- الحلقة ١١ شاهد على العصر، مع منصف المرزوقي، بثت بتاريخ: ١١/٦/٢٠١٧:

<https://youtu.be/JnDBYIR4rZg>

- برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة بتاريخ ٨/٥/٢٠١٦:

<https://youtu.be/0n2HfqsNmbc>

- حوار الغنوشي في قناة فرنس ٢٤ بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١١:

<https://youtu.be/f9bsUW1XcFM>

- قناة المغاربية " فصل الدعوي عن السياسي وتأثيره على مستقبل الحركات الإسلامية"

نشرت بتاريخ: 2016 / 5 / 29

<https://youtu.be/U9FpQl0MNfo>

- البرنامج التلفزيوني في رواية أخرى ١٣ ماي ٢٠١٦:

<https://youtu.be/Yoso38dKFbA>

- لقاء الغنوشي مع جريدة المستقبل الكويتية بتاريخ، ٣-٩-٢٠١٥.
- لقاء صحفي مع الغنوشي على موجات إذاعة تونس الثقافية، بتاريخ ١٨ جوان ٢٠١٣:
- . https://youtu.be/_H3ko0SylZc
- برنامج للقصة بقية " الثورة التونسية إلى أين " ٢٦-١-٢٠١٨:
- . <https://youtu.be/9YJpXcSwYZM>
- حوار أجراه أحمد المنصور مع راشد الغنوشي، بتاريخ ٤ / ٢٠١٤، نشر في مجلة المستقبل العربي:

<https://platform.almanhal.com/Files/2/77889>

- لقاء مع الغنوشي في برنامج أصحاب السلطة، ٢٧ - ٢ - ٢٠١٧:
- <https://youtu.be/sEG3bfc495s>
- لقاء تلفزيوني على الجزيرة مباشر بتاريخ مع عبد الفتاح مورو في: ١٢ ماي ٢٠١٦:
- . <https://youtu.be/Xn8myUr0ls0>

• مواقع الانترنت

- موقع الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، فتحي أبو الورد، " الفصل بين السياسي والدعوي":
 . <http://iumsonline.org/ar/3/lfsl-byn-ldao-olsys>
- أبو يعرب المرزوقي، الفصل السوي بين الدعوي والسياسي أو بين الحركة والحزب.
(/2016/01/29) :
<https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/>
- وكالة إرم نيوز : (١٩-٥-٢٠١٦):
<https://www.ermnews.com/news/492682>
- موقع وكى واند (د-ت)، لجنة صوت الطالب الزيتوني:
<http://cutt.us/9VeJv>
- موقع نواة، نشر بتاريخ، ٤ نوفمبر ٢٠١٤:
<http://nawaat.org/portail/2014/11/04>
- موقع البيان حسن العودات، إسقاط النظام أم إسقاط السلطة: (١ / ١٠ / ٢٠١١).
<http://www.albayan.ae/opinions/articles/2011-10-01-1.1511464> :

- موقع باب بنات، بتاريخ: ٢٠٠٣/٨/٠٦.
- <https://www.babnet.net/rttdetail-69533.asp>
- موقع باب بنات: ٢٠١٣-٨-١٨:
- <https://www.babnet.net/rttdetail-70001.asp>
- شبكة تونس الإخبارية: بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٢٨: "من هو أحمد المستيري":
- <https://youtu.be/WVI54SzAiYs>
- موقع تورس الإخباري. بتاريخ ٢٠١١ / ٣ / ٩:
- <https://www.turess.com/akhbar/78169>
- موقع مغرس، "وماذا عن التضخم السياسي، نشر في موقع التجديد بتاريخ: ٢٠١٢ / ٨ / ٢٤:
- <http://www.maghress.com/attajdid/100848>.

السيرة الذاتية

باحثة تونسية وناشطة في المجتمع المدني، متحصلة على الإجازة في القانون من جامعة صفاقس- قسم القانون الخاص والماجستير من جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين في العاصمة تونس، طالبة دكتوراه في نفس الاختصاص، كما اتمت ماجستير ثانية في معهد الدراسات الشرق الأوسط -جامعة سكاريا بتركيا. لها كتابات أدبية منشورة في مجلات عربية وتركية وبعض المقالات العلمية المحكمة.

